سوميا

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

書誌事項

الكتاب: سوميا

- **المؤلف: حسن البوعبيدي**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 14394 / 2019**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-20-1**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- الغلاف: ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: 27 شارع جمال الدين دويدار من عباس العقاد – مدينة نصر - القاهرة
  38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

سوميا

رواية

حسن البوعبيدي

www.ebibliomania.com

إهداء..

إلى كل الذين عانوا من جرّاء مكائد السحرة وأعوانهم من شياطين الإنس والجن...

وأقول أنى حاولت جاهدا من خلال هذه الرواية أن اكشف بعض ألاعيبهم وخِدَاعِهم للناس وأحذّر الجميع بأنْ لا يتّبعوا طرق المشعوذين والدجالين ويتمسكوا بحبل الله وصراطه المستقيم.

إهداء خاص إلى كل أعضاء مجموعة ملتقى القراء وأقول لهم أخيرا سوميا عاد إليكم.

"هذا الكتاب يحفظ بعيدا عن الأطفال...
لا ينصح به لمن يعانون من أمراض القلب...وكذلك لمن يعانون من الديمونوفوبيا..."

"رغم أنها قصة خيالية وكل شخصياتها من وحي خيال الكاتب، إلاّ أنها لا تخلو من الحقائق التي ربما البعض منكم سيصدقها والبعض الأخر سيعتبرها من الهراء لكني أجزم بأنكم ستستمعون بها وستتيقنون في النهاية أنها جزء مما نعيشه اليوم وجزء من الحقيقة الغائبة"

مقدمة

لطالما اقترن الإيمان بالسرية سوى أن كان ماهو مخزون في القلب أو مدعوم بالفعل، قوة الإيمان هو أن تؤمن بشيء لا تراه بل تستشعره بقلبك...لذلك من أركان الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ماهو غيبي ....وهو ما يتعارض مع فكر العلمانية التي تدحض الجانب الروحي والعالم الما ورائي...لذلك نجد أغلب من ينتسب إليه لا يؤمن بوجود شيء غير مرئي ومادي ويتعارض مع العلم كالجن والسحر والملائكة ...يقول الفيلسوف توماس رايد "أنه ملاحظ تاريخيا الإنسان عندما تعرض عليه قضية خبرية فهو يميل للتصديق" ولكن ما الفرق بين أن تؤمن بتنبؤات شعب المايا حول حتمية حدوث بعض الكوارث الطبيعية وانهيار المجرات الكونية وحساباتهم الرياضية الدقيقة لنهاية الكون وبين أن نصدق بتنبؤات هيئات الأرصاد الجوية أنْ يوم الاثنين القادم مثلا سيكون ممطرا ؟ وما الفرق بين إيمان الإنسان بوجود الحياة الأخرى وبين إيمان العصر الحديث أن الكائنات الحية لها أصل مشترك وأنها تطورت من طور إلى آخر؟ أو ما الفرق بين إيمان طالب جامعي بوجود جسيمات فيزيائية لا ترى بالعين المجردة ولا حتى بالمناظير تسمى إليكترونات وبروتونات وبين إيمان إنسان بوجود أرواح طيبة وشريرة تحيط بحياة البشر؟ وأنا أقول ما الفرق بين وجود الجراثيم التي لا نراها بأعيننا ولا نشعر بها والتي تتسبب للبشر من أمراض وآلام وبين الجن والشياطين التي هي جزء من العالم الغيبي والتي من دونها لا يقوم وجود السحر....

السحر هو ما خفي ولطف سببه ومنه سمي السحر آخر الليل لأنه يكون خفيا فكل شيء خفي سببه يسمى سحرا...فألعاب الخفّة الغير مفهومة والتي تدهش المشاهدين تسمى سحر كذلك...

ظهر السّحر قديما في بابل ونزلت فيه آيات من القرأن الكريم " وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"

اشتهر انتشار السحر عند أهل بابل واستفاض العلم به مع نص القرآن عليه ، يقول ابن خلدون : " وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيون فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار ، وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة " وتحدث صاحب دائرة معارف القرن العشرين عن نبوغ أهل بابل في السحر فقال : " يعتبر أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيون أنبغ الأمم في السحر والنجامة ، فكانت صناعة مناجاة الأرواح واستخراجهم من الأجساد من الصنائع التي لها المقام الأول لديـهم"

ومن المعروف أن أهل بابل يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة ويعتقدون أن حوادث العالم كلها من أفعالها وقد أنشأوا لكل منها صنم

يعبدونه ويسمى باسم كوكبه ويتقربون إليه بالرقي والنفث عليه والطلب منه كل أمور الشر والخير ...وأشد ما برع في أمور السحر لديهم هم كهنة معابدهم وذلك لإغواء الناس والتحكم فيهم ...

خلاصة القول من أنكر وجود السحر فقد أنكر رسالة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ربما أنكر التاريخ القديم والحديث الذي يرتكز على السحر....

"هذه الرواية لا تعتمد لا على زمان ولا على مكان لأنها تمثل مانعيشه في كل البلدان العربية في كل الأزمنة والعصور"

اللّقاء الصّحفي

كَعادِته دائمًا يظلّ اسم رائد مكتبي مُقترنًا بالكسلْ والتقاعسْ في عَمَلِه الصّحفي، فطالمَا دَأب رئيس تحرير جَريدة المسَاء السّيد أحمد على توبِيخِه بسبب إِهمَاله الدّائِم وتأخّره المُتواصِل عن الدّوام ولولا القَرَابة التي تجْمعهما لكَان استغنَى عن خدماته منذ زمن.

تعدّت الساعة الحادية عشَر صباحا ولازال رائد يغطّ في نَوم عمِيق متناسيًا النّدوة الصّحفية التي سَتُقام لمدرب المُنْتَخبْ الجَديد والذي سيتحدّث فيها عن استِعْداداتِه لكأس العَالم...

الهَاتِف يرنّ مُسْتمرًا بِنغمتِه المفزعَة ولازالت طبلة أذنِه لم تستقْبل بعد النّغمات، إلى أن استجاب للنداء أخيرًا، وضَع الهَاتف على أذُنه وهو يتثاءَب ويقُول بصوتٍ غيرِ مفهُوم

_ألووووا

_ألو...رائد أين أنت؟، أنسِيتَ النّدوة الصّحفية! المدير يكَاد ينْفجر من الغضب، ينتظر تقريرك...

_ من معي؟

_أأأأوف، ماذا دهاك...أنا خالد، زميلك!!

انتفض رائد حِين علم أنّه صديقه خالد وأخذ يفرك عينيه بقوّة قائلا

_سحقا لقد نسيت...أخبره بأنّي قادم حالا.

نهضَ مسرعًا إلى الحمّام، غسَل وجهه ثم غيّر ملابسِه وخرج متجاهلا نداءات أمّه التي كانت تَدعُوه للإفطار، فلطالما اعتاد على المغادرة دون تنَاول أي شيء بسبب تأخرّه الدائم.

وصل أخيرًا إلى مقرّ الجريدة ليجِد خالد بانتظاره، الذي أشار إليه دون أنْ ينبس بكلمة بأنّ المدير ينتظره في مكتبه.

أخذ نفسا عميقا قبل أن يطرق الباب والعرق يتَصَبّب من جبينه من شدة الارتباك...فتح الباب بعد أن أذن له السيد أحمد، ثم دخل وهو يمسح وجهه...

جَلس وظلّ صامتًا لبرهة ثم قال

_أعتذر لك سيدي، دائمًا ما أضعك في موقف محرج بسببي، أعدك بأنّ هذا الأمر لن يتكرّر.

بدا على وجه السيد أحمد الغضب والانفعال حيث قال مخاطبا إيّاه بعد صمت طويل..

_أخبرني يا سيد رائد، إلى متى ستظلّ بهذا الاستهتار؟

ثم نهضَ من كرسيّه وظلّ يمشِي جيئة وذهاب...

توقف وقد أمعن النّظر إليه مكمِلاً حدِيثه

_اسمعني جيدا، بعد هذا الأمر الفظيع الذي قمت به...سأكون رؤوفا بك هذه المرة، وتقريبا مثل كل مرة، ولن أقوم بطردك، ولكن سألغي مهامك من صفحة الرياضة وأخصّص لك ركنا صغيرا خاص بالجريمة فافعل به ما شئت.

قاطعه رائد قائلا

_ولكن يا سيدي، أنت تعلم أنّني أحب الرياضة وأهتم بها وأجيدها...

_أنت لا تجيد شيئًا يا رائد، فأهمّ حدثٍ ريَاضيٍ أضعتَه اليوم باستهتارِك و إهمالك...

أنت لا تصلح لمهنة الصحافة...أنت فاشل...فاشل ...

_سيدي... بإمكَاني إصْلاح الأمر...

_كيف ستُصلِح ما فعلت؟؟ أخبرني...كيف؟

_لديّ أصدقاء من صُحف ومجلاّت أخرى و بإمكانهم مُساعدتي في هذا الموضوع...

_ما هذه الحماقة التي تفكّر فيها!! فبعد ثلاثين سنة من عملي في الصحافة سيَقُولون بأنّ صحيفة المسَاء استعانت بصحيفة أخرى لتغطية أخبار الندوة الرياضية...ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟!

_سيدي، اترك الأمر على مسؤوليتي وأعدك، لن يعلم بالأمر أحد.

_أرجوك توقف ولا تكمل الحديث، لقد انتهى الأمر الآن وتمّ تَحويلك إلى صفحة الجرائم، هناك ستجد راحتك و لن يقلق مضجعك أحد.

_لكن سيدي...

قاطعه بغضب

_قلت لك انتهى الأمر، يمكنك الانصراف، لقد انتهى أيضًا اللقاء...

_حسنا...كمَا تريد...

غادر رائد مكتب المدير يشْعُر بتأنِيب الضّمير ممّا فَعله...

يحدّث نفسه مؤنبًا " إلى متى ستظل مهملاً عملك يا رائد؟ إلى متى ستظلّ هكذا وأنت تَحلم بأن تصبح ذلك الصحفي الناجح؟ "

ذهب إلى مكتبه وأخذ يلتَهِم السّجائر، الواحدة تلو الأخرى وكأنّه يُحاول إخراج ذلك الغضب الدّاخلي من خلال تلك السّحابة الدخّانية التي

يمتصُّها عبر فوهة السّيجَارة ثم ينفُخها لتندثِر في أرجاء المكتب وتندثر معها تلك الطاقة السلبية الكامِنة داخله.

أخرج هاتفه من جيبِه وأخذ يتصفح جدار الفيس بوك علّه يجِد شيئا يُخرِجه من هذا الأرق والتوتّر فشدّ انتباهه خبر مهمّ وهو أن العرّاف المشهور "أيهم رشدي" قد سلّم نفسه للسلطات يوم أمس واعترف بأنّه قد قتل زوجته وعشيقها وهو الآن في السجن.

تفاجأ من الخبر واتّسعت عيناه، أطفأ سيجارته ثم اعتدل في جلسته ليكمل قراءة الموضوع بوضوح وتركيز تام وهو يحدّث نفسه...

"إنّها فرصتك يا رائد لتثبت نفسك، وبما أنّك انتقلت إلى صفحة الجرائم أي أنّك أصبحت مؤهلا الآن لتكتب في هذا الموضوع، والأكيد سيكشِف لك العديد من خفايا، لكن يجب أن أخذ أولاً الإذن لزيارته في السجن وأنظّم لقاء معه فلا يمكن أن أختلق الأمر من مخيّلتي، يجب أن يكون الأمر واقعيا"

غادر رائد مسرعا مَكتبه فاعتَرض خالد طَريقه يسأله

_أخبرني يا رائد ما الذي حصل معك مع المدير؟؟ هل تم طردك من العمل أم ماذا؟

_لا...دعني الآن فأنا مستعجل، سنتحدث لاحقا...

_ انتظر...ما خطبك؟ ما الأمر؟ لم أنت مستعجل؟

تجَاهل رائد كلامه ثم دفعَه وأبعده محاولا المُرور لكنّه سرعان ما عاد إليه يسأله قائلا

_خالد...هل تعرف العرّاف الفلكي أيهم رشدي؟

_أيهم...أيهم...آه تذكرت...نعم أعرفه، ومن لا يعرفه في هذا البلد يا صديقي، إنه عرّاف مَشْهور وكانت له توقّعات مُثيرة أثارت ضجّة في الإعلاَم لكنّي سمعت أنّه في السجن الآن ...

_جيّد جدًا، هل أستطيع زيارته في السجن برأيك؟؟

_وما دخلك أنت، هل أصبحت مهتما بقسم الجَرائم الآن أم ماذا؟؟

ثم انفجر ضاحكا فقاطعه قائلا:

_هل يبدو لك الامر مُضحك؟؟

ابتسم خالد محاولا تدارك الأمر ثم قال له

_أعتذر...لكنّي اندهشت من سؤالك!!

_ هل تستطيع مساعدتي؟؟ فأنا أعرف أنّك ذكي وخبير في هذه الأمور وإن كنت لا ترغب فدعني أذهب لأتدبّر الأمر وحدي...

_حسنا أخبرني أولا، ما سبب اهتمامك به؟

_ لقد تَمّ عزلي منذ قليل من صفحة الريّاضة إلى صَفحة الجَرائِم...

تعالت ضَحكات خالد من كلامَه مرّة أخرى ثم أجابه قائلا

_يا للهول!! الصحفي المرمُوق رائد مكتبي عزل من مكَانِه المرمُوق...

_أأأوف...توقف عن الضّحك وأخبرني إنْ كنت تَسْتطيع مسَاعدتي أو دعني أنصرف...

_ لا...لا...فأنت صَديقي فكيف لا أساعدك، أمهِلني بعض الوقت وسيأتيك ردّي غدا إن شاء الله...

_حسنا...سأنتظرك، فلا تتأخّر...

_ طبعا...اطمئن يا صديقي...

حاول أن يسْتدير لينصَرف لكنّ خالد جذبه إليه قائلا

_إلى أين أنت ذاهب...هيّا إلى مكتبي لنكمل حديثنا هناك، فلدي ما أخبرك به...سأطلب لك قهوة ...

_لا أرجوك...أريد الذّهاب الآن...يجب أنْ أخرج للتنفُّس قليلا، أشعر باختناق شديد، وداعا ربما نلتَقي في المساء.

_حسنا...كما تريد.

غادر رائد مقرّ الصّحيفة عابس الوجه مهموما يفكّر، فغَالبا ما يؤرّق نومه تفكيره الدائم، فيَصُبّ جام غَضَبه في التهام السّجائر التي تضجُّ بدخّانها الأرجاء، وتغيّر رائحة الغرفة وسط طلبات أمه المستمِرّة والملحّة له بالإقلاع عن هذه العادة السّيئة لكنّه لا يستطيع فهي رفيقة دربه وملهِمة أفكاره

أفاق رائد على غير عادتِه هذا اليوم ربما لأنّه لم ينَم أصلا أو أنّه شَعُر بقليل من المسؤولية حيث تناول الافطار مع أمه لأول مرة، ظلّت تدعوا له بالتوفيق والنجاح في مهنتَه التي لطالما فشل فيها، وعندما همّ بالمغادرة للذهاب إلى العمل، قطع سيلان أفكاره المشوشَة رَنين هاتفه، لقد كان صديقه خالد...

فرح بالمكالمة حيث أجابه والابتسامة تعلو وجهه قائلا

_صباح الخير يا أفضل صديق، أخبرني ما الجديد؟ هل هناك خبر يُسعِد صباحي؟؟

أجابه خالد وكأنّه وسط ضجيج وصوته بالكَاد يُسمع

_أين أنت يا رائد؟ أحاول الاتّصَال بك منذ ساعة ولكنّ هاتفَك مغلق ...

_عذرا، لقد نفذت البطارية، فأنا مُعتاد دائما على شحنها في وضعية الاغلاق...صدقا لقد نسيت أنّك ستتصل بي...

_أوف، أنت مُهمِل يا صديقي، دائما ولن تتغير أبدا...المهمّ هل تستطيع القدوم إلى سجن القلعة؟؟ أنا هناك الآن!! لقد رتّبت مع أحد الرفاق لقاء لك مع ذلك العرّاف "أيهم رشدي"

_أووه...هذا ممتاز!! سآتي حالا انتظرني، لن أتأخّر...

أغلق رائد الخط ثم قبّل أمه وعانقها وغادر المنزل مسرعا.

وصل إلى سجن القلعة ليجد صديقه خالد بانتظاره.

وبعد مفاوضات قاما بها مع مدير السجن، تمكّن رائد من الحصول على الموافقة لإجراء اللقاء، أمّا خالد فقد غادر متمنيا له التوفيق في مهمّته.

دخل إلى غرفة الزيارة ينتظر قدوم السجين، وماهي إلاّ دقائق حتى أحضره الحرّاس وهو مكبّل ثم انصرفوا بعد أن أشاروا له بأنّ الأمر لن يتعدّى حدود الساعة.

جلس السجين متثاقلا ثم نظر إلى رائد قائلا

_هل أنت محامي؟

نظر إليه رائد مبتسما وقال له

_بما أنّك عرّاف فالأكيد أنّك ستعرف دون أن أقول لك.

ضحك من كلامه وقال:

_حقا أعجبني ردُّك!! لكنني اعتزلت تلك المهنة منذ مدة.

_ربما اعتزلت، لكن من المؤكد أنّ الخبرة ما زلت موجودة.

_لا يا صديقي، فقد تركت ذلك العالم و تبتُ و الحمد لله فلعلّ الله يغفر لي كل ذنوبي التي اقترفتها...

_ جميل...لكن وَجب عليك فعل شيء للتكفير عن ذنوبك، على الأقلّ عليك نُصْح النّاس و تحذيرهم...

_ أتعلم، أبهرني بحثك واستقصاءك، أعتقد بأنّك صحفي، أليس كذلك!

ابتسم إليه رائد قائلا:

_يبدو أنّ الخبرة اشتغلت الآن وأتَتْ بِمفعولها.

ضَحك العرّاف من مُزاحِه وقال له:

_لا يا صديقي، أنا فقط خمّنت في أمرين، فإمّا أنْ تكون محققا أو صحفيا، لكنّ هيأتك و كلامك لا يوحي بأنّك محقق...إذا، فلا يمكن أنْ تكون إلاّ صحفيّ..

_ تخمينك صحيح يا سيد أيهم...

مدّ يده إليه ليصافحه ثم واصل كلامه.

_ آه...نسيت أنّك مكبّل و لا تستطيع مصافحتي.

المهم، دعني أعرفك عن نفسي أولا.

أنا الصحفي رائد مكتبي من صحيفة المساء ...

_تشرفنا سيد رائد، أعجبتني مراوغتك و تدبيرك في الحوار...

قلي ما الأمر الذي دفعك للقائي؟

_ في الحقيقة، سأبوح لك بأمر حتى أمي إلى الآن لا تزال تجهَله.

قاطعه قائلا

_ خيرًا إن شاء الله، أخبِرني ولي الشّرف لأكون أوّل من يَعلم.

_ حسنا إذا،سأخبرك...

أنا صحفي مختصّ في الأخبار الريّاضية وبسبب خطأ ارتكبته لا داعي لذكره، تم تحويلي إلى صفحة الجرائم لذلك أنا هنا أطلب مساعدتك، واخترتك لأنّك عرّاف مشهور، وأمرك مهم بالنسبة للرأي العام، لذلك لو تفضلت، بأنْ تسمح لي بأنْ نجري لقاء بيننا، لتخبرني به عن حياتك وكيف دخلت هذا العالم كما أسميته، ولو تفضلّت أيضًا، يعني لو أمكن أن تبوح لي ببعض الأسرار الخفيّة التي سَتكون حصريّة في لقاءنا هذا، وبها يمكن أن تنال إعجاب قرّاءنا الأوفياء وأيضًا مديري الذي مازال إلى حد الآن غاضبا مني.

_ حسنا سأساعدك، لكن بشرط...

اتّسعت عينَا رائد مندهشًا من كلامه ثم استطرد قائلا:

_ما هو شرطك؟!

_ ممم...شروطي عديدة فهل سترضخ لها...

_ أخبرني إنْ استطعت، لما لا...

_حسنا أغمض عينيك و سأخبرك...

أغمض رائد عينيه ينتظر الردّ وسط ضَحكات العرّاف ثم قال له

_ما الأمر، ما بك؟؟

_لا...لا شيء فقط كنت أمزح معك...يمكننا بدء اللقاء دون شروط .

_أفزعتني يا رجل خلت أنّك ستفكّ وثاقك و تنقضّ عليّ...

_ لا تخف، فأنا لستُ من ذلك النّوع...

هيّا...يمكنك بدء الحوار وإلاّ ستنقضي الساعة ولن تصل إلى شيء ...
_حسنا، سأضَع الهاتف أمَامك في وضعية التّسجيل وستتحدث أنت ..
وتخبرني بكل شيء من بداية دخولك هذا الميدان إلى لقاءنا هذا...
_ حسنا...هل أبدأ ؟؟
_لحظة فقط حتى أعدّل الهاتف، ثم أبدأ...
هيّأ رائد هاتفه على وضعية التّسجيل ثم وضعه أمام العرّاف وأشار إليه بأن يبدأ الحديث.

أيهم

لقد كنت منذ صغري ذاك الشاب المتهور الطائش...أرتاد الحانات وأتّبع الشهوات...

ظللت على تلك الحالة حتى شارفت على أربعين من عمري...

تعرفت على إحدى فتيات المعمل في حينا...أحببتها حقا...مارست معها كل فنون الشقاوة التي كنت أتقنها...

انتظرها خارج المعمل كل يوم تقريبا كي أوصلها إلى المنزل...من أجلها صرت أبحث عن عمل ...وجدته أخيرا...نادلا في إحدى المقاهي...تحملت لأجل الزواج بها تعب العمل ووقاحة معلمي ...

أعود متأخرا كل ليلة ببعض المال الذي كنت أختلسه من محصول اليومي للمقهى وأضعه

في صندوق كنت قد خبأته تحت السرير، كنت أتخذه كالحصالة...أضع فيه كل ما أملك من المال...

مرت شهور وأنا على هذه الحال حتى أحسست أنني أملك ما يكفي للزواج... طبعا بما أنني أقطن في حي شعبي وهي كذلك، فلن يتكلّف زواجنا الكثير سوى كراء قاعة الأفراح مع بدلة جديدة وينتهي الأمر...

قررت أخيرا أن أذهب إلى منزلها كي أخطبها من أبيها ...

وجدته ينتظرني أمام الباب مبتسما...

أظنه هو الآخر قد ملّ من وجودها معه ويريد التخلص منها ...

لم تتعد شروطه سوى أنه ظل يردد لي "المهم أن تهتم بها وتضعها في عينيك "طبعا كنت مبتسما طيلة فترة مكوثي معه وأقاطعه دائما"لا تقلق يا عمي فهي أغلى من أمي "
طبعا هو لم يسألني عن أمي التي لا أعرفها ولا عن أبي الذي لا أعرفه هو الاخر ...
غادرت دور الرعاية منذ بلوغي الثامنة عشر...حتى اسمي "أيهم رشدي" لا أظن أنه يحمل معنى، ربما من سمتني في دور الرعاية كانت تشاهد الأفلام كثيرا...أظنه اسم من إحدى أبطالها المفضلين ....المهم أننا تزوجنا بمباركة الحي كله فلقد ترعرعت يتيما بينهم والكل يحبني...
أنجبنا طفلتنا الأولى وأسميتها "ندى" وتلك كانت نقطة تحولي...لم يعد عملي في المقهى يوفر كل حاجيتها ...فقررت أن أجد شيئا آخر ...أتذكر يومها أثناء عملي في المقهى حين كنت ألبي طلب الزبائن...سمعت أحدهم يتحدث مع أصدقائه عن وجود كنز في منزله وبأنّه وجد عرّاف مغربي يمكنه استخراجه لكنه طلب الكثير من الأموال ...فدفعني فضولي أن أتعلم السّحر فربما يوما ما أصبح ذاك العرّاف المشهور وأجني المال وتتغير حياتي إلى الأفضل...

الخلوة

دفعني فضولي أنْ أستكشف عالم السّحر فتَصفحت عدة مواقع وطالعت مجموعة من الكتب وقررت أنْ أجرّب...أغلقت باب غرفتي على نفسي

ووضعت أمامي مجموعة من التعاويذ كنت كتبتها مسبقا، وهيّأت الجلسة بإشعال الشّموع وبعض البخور، وانطلقت في تلاوة التعاويذ السحرية رغم صعوبة نطقها.

كرّرت عدّة مرات ولم أفلح حتى أصابني الملل...كنت أريد استدعاء أحد العفاريت للاستعانة به ودخول مجال السّحر...ظلّلت أياما وأنا أجرّب حتى انتهى بي المطاف إلى أنْ عثرت في إحدى المكتبات على كتاب ثمين، بليغ المحتوى، حيث وجدت فيه أمورا لم أدرسها من قبل...

عدت به مسرعا إلى البيت وبدأت أتصفحه بتأنِّي...

كان يحتوي على ما أريد...فيه فصل كامل يتحدث عن كيفية استدعاء العفاريت...قررت ليلتها أنْ أنهي الأمر ويجب أنْ أنجح هذه المرة وإلاّ فإنّني لن أخوض هذا المجال مرة ثانية...

كالعادة اختليت بنفسي ورتّبت أموري وجلست وحيدا في الظلمة، سوى مع شمعتي التي تضيء لي كي أقرأ...بدأت أردّد التعاويذ فأحسَسْت أنّ الوضع اختلف هذه المرّة....

كأنِّي بدأت أسمع أصواتا من حولي، لم تثنني عن المواصلة ولم أعرها أي اهتمام.

فعزمي أقوى من أن أخاف، كما أنّني كنت أعلم أنّه إنْ تراجعت حينها قد أُصَاب بالجنون.. إلى أنْ ظهر أمامي فجأة منظَر بَشع بِشكْل لا يُوصَف، وخَاطبني بِصوت مُخيف:

_ماذا تريد أيّها الإنسي؟

انتفضت وشَحُب وجهي وتصبّب مني العرق فحاولت عدم إظهار توتّري...تحاملت على نفسي وقلت له...

_أريد تعلم السّحر،أريدك أنْ تصبح خادمي...

تعالى صُراخه من حولي وهو ينفخ واحمرّت عيناه وزادت بشاعته فأغمضت عيني فلم أعد أستطع النّظر إليه فقال لي

_أنا العفريت سوميا...ولأكون خادمك عليك تنفيذ شروطي أولا...

أجبته متسرعا

_سأنفّذ كل شيء، المهم أنْ أصبح ساحر...

_هل أنت مستعد للأمر؟

_أنا مستعد وإلاّ لما استدعيتك...

_حسنا...هناك أمور يجب أنْ تقوم بها وتحتاج إلى خلوة...

_حسنا ولكن أين...

_أغمض عيناك فقط وستعرف...

ماهي إلاّ خطفة حتى وجدت نفسي داخل كهف مظلم، وهو يَحُوم حولي بهيأة أخرى كأنّه بشري هذه المرة، يرتدي لِباسًا يشبُه الرّاهب في الكنيسة...أنساني منظر الكهف المظلم وتشققاته المخيفة وصوت قطرات الماء التي تنسكب من الأعلى خوفي منه.

تسلّل الندم إلى قلبي وأحسَسْت أنّني وقعت في ورطة وأنّ الأمر أصعب ممّا تصورت ...لكن أين المفرّ الآن؟، وقد وصلت إلى نقطة عدم اللاّعودة وأنه عليّ المواصلة...

عالم السّحر

كانت عينَاه المحمرّتان تُضِيئآن أرجَاء الكهف حين يزمجِر بغَضب...يريد إخافتي.
حاول تغيير شكله إلى كل الوُحوش المخيفة...أفاعِ...أُسود...وحتى تنانين.
تشَكّل في مسُوخ تُشبِه التي في أفلام الخَيال العلمِي...لكنّني كنت ثابتا وعازما على المُواصلة...كنت حينها ألهِي نفسي بالتّفكير بموضوع آخر...
أفكّر كيف سأكسب المال والشهرة والسّلطة من السّحر... أتخيّل نفسي أصبحت ساحرا ذائِع الصِّيت، أصُول وأجُول في أرجَاء المُدن وأجني المال من خلال مَهارَاتي...أداوي المرضى...وأحلّ مشَاكل النّاس ويأتِين القاصِي والدَّانِي من كلِّ فجّ عميق...
تخَيّلت نفسي وأنا بين حاشيتي مثل الملوك...السّيارات الفخمة تحمِلني وكل الناس تطمح للتقرب مني وأخذ البركة من سحري...حتى خاطبني بصوته المخيف
_اسمع أيّها الإنسي...لقد أعجبتني شجاعتك...وبما أنّك استطعت الصمود والتحمّل، فقد نجحت في اختبارك الأول...الآن سأتركك هنا وحدك لمدة ستة أيام لن ترى فِيها الشّمس وضوء النّهار حتى أتي إليك...بولك هو ماء طهارتك لتغتسِل به والخمر ليطفئ عطشك والتّمر ليسدّ رمقك...مسموح لك بثلاثة تمرات في اليوم، لا تتعدى حدودك فتجوع وتهلك...

عليك أن تنجح في الاختبار الثاني لتصل إلى رتبة السّاحر وحين أعود سأخبرك بالباقي، سأذهب الآن.

اختفى وتركني في الظلمة لا أرى شيئا...ورغم منظره المخيف إلاّ أنّه مؤْنِس في هذا الكهف الموحش.

لا أستطيع التحرك فأنا لا أعلم ما يوجد أمامي...بدأت أتحسّس المكان بيدي كالأعمى فوجدت كيسًا.

فتحته فكان فيه بِضْعُة تمرات...عددتها فوجدتها ثماني عشرة حبّة من التمر العَفن المتآكل، تنبعث منها رائحة كريهة.

لا جدوى من إغماض عيني فأنا أصلا لا أراها...

وضعت واحدة في فمي وابتلعتها دون أنْ أتذوقها.

ولكيلا أشعر بالغثيان أتبعتها بشرب القليل من قارورة الخمر كي أنسَى طَعمَها المُقْرِف، لكن كانت الخمر أفظع من التمر في طعمها...

ظلّت عالقة في فمي ولم أستطع بلْعها...قلت في نفسي لو لفضتُها فلربما أفشل في الإختبار.

فأخذت نفسًا عميقًا وابتلعتها مع شهيق عال من صَدري، كِدت أتقيّأ على إثره، ورحت أتخبط على الأرض.

كانت الرائحة عفنة لدرجة أنني أحسَسْت بدوّار أصابني فاستَلقيت ونمتُ إلى أنْ أفقت على شيء يعصِرُني ويكاد يكسِر أضلاعي...

الأمر هنا سيّان، حتى وإنْ فتحت عيناي فأنا دائماً في العتمة...

بدأت أذني تستقبل صوتا كصوت فحيح الأفعى.

ربما أنا أهذي أو أصابني الجنون.

كيف لأفعى أنْ تعيش في مثل هذا المكان إلى أنْ ازداد مصْدر الصّوت واتضح لي بأنّ الأمر حقيقي وأنّني في وعي كامل...

التفت وأنا لا أعلم أيَمِينًا أم يَسَارًا...هنا لا مكان للاتجاهات فالأمر سيّان.

الزمن يتوقّف...تَشعُر وكأنّك داخل صندوق حديدي مغلق...

كانت التفاتتي أمر سيئا للغاية...لقد كانت أفعى ضَخمة عَينَيهَا حَمْرَاوَين كعينَي ذلك العِفريت...ربما هو عاد لإخافتي مرة أخرى...لازلت لا أعلم ماذا سيحصل؟

حاولت الصّمت وعدم الصراخ لكنني لم أستطع...كيف سأحاول الدّفاع عن نفسي وهي تعصرني ولسَانها الطّويل يلْعق وَجهي ولِعابها المقزّز يَسَيل على كامل جسدي...

أغمضت عيني وقلت فليَحصُل ما يَحصُل...

ازدادت كمية اللعاب على رأسي وأحسَسْت وكأنّني داخل مسبَح من اللُّعاب المقزّز...

أدركت حِينها أنّها بَدأت بابتلاعي، وأنا أتحرّك الآن رويدا رويدا داخل فمها، وصولا إلى أحشاءها حتى استقر بي الأمر وقد توقفت عن الحركة فجأة...أوَصلت الى أمعاءها أمْ ماذا؟!

صدَر بعد توقفي صوت ضخم كأنّه انفجار، تحركت بسرعة مذهلة على إثره وهي تدفعني بقوة إلى الخارج...ارتطمت على الأرض أخيرًا مُنهَك القوى.

أدركت بأنّه لم يعجبها طعمي فلفظتني.
نِمت مرّة أخرى إلى أن أفقت على وخز في كتفي وشَعرت بأنّ أحدهم يوقظني.
لبرهة خلت بأنّها زوجتي، وأنّ كل الذي عشته كان مُجرّد حُلم فحَاولت فتح عيني بصعوبة، لأرى نورًا ساطعا، بالكاد استطعت فتحهما بالكامل من شدة تأثيره على قزحيتي ...
أسمع أصواتًا تهتف باسمي، وكنت أعلم أنّها حقيقة ثابتة هذه المرة وليست حلما، فتحت عيني بصعوبة لأجد شيئا زاد من دهشتي...

الروحانيّون

بعد أنْ أفقت من غيبوبتي، وبعد أنْ لفظتني تلك الأفعى الضّخمة، استيقظت على نور ساطع ملأ أرجاء الكهف...فتحت عينيَ ببطء لأجد أمامي ثلاثة أطياف مضيئة...ولكي أراهم بوضوح فركت عينيَ بشدّة...إنّهم رجال طِوال القامة ضِخام الأجساد ملأت وجُوهم اللِحَى البيضاء الطويلة...بدا عليهم الهيبة والوقار وهم يلبسون جلابيب بيضاء واسعة كأنّهم ملوك من الجان.

في الحقيقة وكأنّهم من الملائكة أو مخلوقات نورانية...استمتعت بمنظرهم...لم أرى في جمالهم قُطّ...

غلبتني الدهشة فعلا، فكيف لي بعد هذه القذارة التي غُصت فيها أنْ ألتقي بمثل تلك الوجوه النيّرة المضيئة، ثم ما الذي أتى بهم إلى هذا الكهف.

سادني الصمت والتعجّب حتى اقترب مني أحدهم وقال

_اسمع أيّها الإنسي...نحن الروحانيون وقد لبّينا طلبك، وبما أنّك استدعيتنا، فإننا سننفذ ما تريد وسيكون سوميا هو خادمك...عليك الآن أنْ تحترم شروطنا لكي نستَمِر في خدمتك...

كان الضجيج يملأ رأسي، فبالكاد كنت أسمع أصواتهم لكنّني تحاملت على نفسي ونهضت ببطء، ومع وقوفي أمامهم، زالت كل تلك الأوساخ واللعاب

وكأنّها امتصّت من قبل شفّاطة كهربائية أو أن أحد ما غسل ملابسي لأعود كما كنت...

ذُهلت من ذلك التغيير السّريع وأشار لي أحدهم بالانحناء والركوع، فنفذت أمره، ثم اقترب مني ووضع يده على رأسي فقلت وقد أحسَسْت بالرضا والطمأنينة

_شروطكم ستنفذ مهما صَعُبت عليَّ...

فأرجو منكم أنْ تطلعوني عليها أولاً، وسأكون عند حُسْنِ ظنِّكم...

_شروطنا ثقيلة فهل ستتحملها أيّها الإنسي...

_أجل مهما بلغت...

_حسنا... لكي تَبلغ درجات العُلى في الروحانية، عليك أن تمرّ بثلاث مراحل لَتصبح القُطب الأعلى، أي السّاحر العالم والمتضلّع بفنوننا والمدرك لخبايا العالم السفلي...ولتصل إلى هذه الدرجة، يجب أنْ تمرّ بمراحل...الوتد ثم النقيب ثم القطب، ومن شروطنا لبلوغ المرحلة العليا، أي لصفة الكمال الروحي عليك أنْ تقطع علاقتك بكل من تعرف، أي قطع صلة رَحِمك وذلك لتبدأ حياة جديدة و تنسى ما كنت عليه سابقا، كما عليك أن تتقبّل طُقوسنا الجديدة فأنت الآن أصبحت غير مكلّف، بل مَنْهيّ عن العبادة...لا صلاة ولا صوم، ولك الحق بأنْ تُمارس شهواتك بحريّة، كالزنا ومعاقرة الخمر.

ولكي تَتَجرّد من كل القيود والعبوديّة وتصل إلى درجة الحرية المطلقة، عليك أنْ تقوم بأمرٍ مهّم، يجب أنْ تدوس على قرآنكم ذاك وتتوضأ من

بولك لتتحول من صفة العبد المسلم الخاضع إلى صفة العبد الحرّ، فأنت الآن أسمى من أن تكون كذلك...

كل هذا ستقوم به على مراحل، نحن نحددها لك، وعند الانتهاء من ذلك سيعود إليك سوميا ويكون تحت طَوْعك...لكنك الآن ستَسْجُد لنا لتتصل بعالمنا السفلي وتصبح عبدا لأوامرنا، وكإشارة وكأنك صِرتَ منّا...

_حسنا...حسنا...سأنفّذ أوامركم، لكن إلى متى؟

_ تلك المدّة سنُحددهَا نحن...فمتى؟؟ وكيف؟؟ كلها أقوال لا تَصِحّ هنا، ما عليك سوى السّعْي إلى بلوغ درجة العُلَى...

ظللت أفكر لبرهة، وقلت إنّ الأمر انقضى ولا مجال للتراجع.

ثم إنّه، حتى وإنْ رفضت شُروطهم فكيف سأخرج من هذا الكهف المظلم....

انحنيت لأسجد لهم، وبدوا وكأنّهم يرتّلون مع سجودي تعاويذ غير مفهومة لا تشبه تلك التي قرأتها في ذلك الكتاب، وتصاعد الغبار من حولي، وفجأة وكأنّ شيئا سَحَبني بقوة وظللت أدور في دوامة هوائية عنيفة كالإعصار...

أحسَسْت وكأنّني سَأتمزّق إلى أشلاء أو سأموت...حتى ارتطمت على الأرض بقوة مجددا.

تغيير المكان، فلم أعد في ذلك الكهف المخيف بل أصبح يشبه الزنزانة.

إنها غرفة ضيقة منعزلة وكأنّني في المنفى...

هناك سرير من الخشب وأريكة...كُرْسيّ مَكْسُور...كل شيء بدا بسيطا.

لكنني ما زلت غير مرتاح.

أشعر وكأنّ أمر ما سيَحصُل...لكن، لا يهم...لقد اعتدت على المفاجآت، ثم ماذا لو ظهرت تلك الأفعى مرة أخرى...لا...لا...المكان ضيق هنا ولن يتّسع لكيلنا...فالغرفة بالكاد تتسع لشخصين فكيف تتسع لأفعى ضخمة. انفتح باب من بين الجدار فأصبح كالقبو، أضاء قليلا المكان وخرجت منه فتيات حسناوات في غاية الجمال مثل الجواري الحِسَانْ.

قلت ربما بدأ الاختبار الثاني الآن، وهذا شرط الزنا قد أتى...

نظرت فكنَّ يحمِلْنَ قوارير مزخرفة...تحمل الخمرة المعتقة فلا ريب، وهذا شرط آخر...

لازال شرطان فتذكرت أن البول من عندي وهو أمر يخصّني فضَحكت في داخلي حتى اقتربن مني ووضعن القوارير على طاولة أمامي، لم أراها قبل ربما أحضرْنَها معهُنّ هي الأخرى.

صرت كالمنتشي وأنا أشرب كأسًا بعد كأس حد الثمالة، وهن يتراقصْنَ من حولي ويتضاحكْن...إنّني سلطان لا محال، أنا الآن القطب الاعلى...دارت بيني وبينهن أشياء فظيعة لا داعي لسردها...المهم أنني ظللت مدة لا أدري كم هي، وأنا أسِير على نهج المحرّمَات والفواحش وارتكبت كل المعاصي حتى اسودّ قلبي وزالت كل مشاعري وأتى اليوم المنشود، حيث عادوا إليَّ مجددا وهم يحملون خاتما، أمروني بأنْ ألبسَه في يدي اليسرى، كان يشبه الزمردة، ثم خاطبني أحدهم.

_لقد أنجزت مهمّتك الأولى وانتهت خلوتك...

ستعود إلى منزلك...أنت الآن منا وفينا وسنعلمك بعض التعاويذ التي ستحتاجها في استدعاء سوميا...فهو خادمك الآن، وسيكون تحت طوعك.

عليك أن تُرشِد الناس إلى طريقنا الآن ...طريق الحق...طريق الكمال.

صفّق قائِدهم فوجدت نفسي أمام منزلي...لا أعلم ما هوالإحساس؟؟ ربما فرح بالعودة أو فرح بإكمال المهمة...أو فرح أنني أخيرًا سأصبح ساحر وأنتقم من كل شيء وقف أمامي واعترضني أو حَشَر أنفه في أموري...
سأنتقم من كل سورٍ بُنِيَ حاجزا ومنعني من تحقيق أهدافي، سأرتفع الآن فوق الجميع، سأحقق أحلامي....
طرقت الباب منتظرا حتى يفتح...نظرت فإذا به رجل غريب لا أعرفه...حدّقته به مطولا ثم قلت:
_من أنت؟؟ ماذا تفعل في منزلي؟؟
بدا على ملامحه الذّهُول والتّعجب، حتى سمعت صوتا قادما من الداخل.
إنّه حتما صوت زوجتي...ماذا يفعل هذا الرجل معها؟؟ دوت أفكار في رأسي واختلطت مع بعضها حتى اقتربت، وحين رأتني صاحت...

أدركت من صراخها وفزعها عند رؤيتي أنّ هناك خطبا ما وأنها قامت بأمر فظيع ولا تريدني أن أكتشفه.
دفعته ودخلت إلى الدّاخل فقالت لي وهي ترتجف
_أيهم...كيف؟؟ لقد غبت فترة طويلة وحسبت بأنّك اختطفت أو مكروه أصابك أو ربما تركتنا ورحلت...
كنت أحدّق إلى الرجل فوجهه مألوف ولا أعلم أين رأيته...
أين يا أيهم؟؟ أين؟؟ كل التساؤلات كانت تدور في ذهني...

لا يهمني ما يمثل بالنسبة لها...لكنني فقط أريد أن أعلم من هو؟؟ حتى أعادت قولها مرة أخرى

_في الحقيقة...أيهم...أنا...وبعد غيابك الطويل لم أستطع العيش بمفردي... كنت أشعر بوحدة شديدة...ف....

قاطعتها قائلا

_فماذا...آه...فتزوجت...أتيت بشخص يؤنس وحدتك، فمن غير المعقول أن تظلّي طيلة هذه الفترة دون مؤنس، فهذا لا يجوز؟؟ أهذا ما تقصدين قوله...

_نعم...أنا اسفة أيهم...

_تتزوجين بهذا الأحمق وتسكنين معه في منزلي...يا لوقاحتك!!!

ثم كيف استطعت الزواج خلال هذه الفترة القصيرة؟؟

سكتت ولم تستطع الرد فواصلت توبيخها

_أهو زواج عرفي؟

أجابتني بصوت خافت

_أجل...أجل...

_ بصراحة أنت مقرفة ولم أكن أعلم أنك بمثل هذه الوضاعة...

حاولت أن تقول شيئا لكنني أشرت لها بأنْ تصمت، اقتربت منه وبدأت أتفحصه وهو لا ينبس بكلمة، يعلم أن ذنبه أكبر من أن يتكلم ويواجهني...

كل علامات الندوب التي بدت على وجهه توحِي بأنّه رجل وضِيع ومُنحرِف ومن أصحاب السّوابق، يفعل أي شيء في سبِيل مَصلحته الشخصية وهي

استغلته لكي تشبع رغباتها الدنيئة...كنت أشم رائحة الخمر تنبعث من فمه العفن...زاد توتري حين قالت

_ أظنّك تعرفه أيهم...أنّه حارس المعمل الذي اشتغلت فيه 'أدهم'...

ضربت جبهتي بيدي بقوة حين سمعت اسمه، كيف نسيت هذا الحقير يا أيهم؟؟ وهو الذي كان يمنعك من دخول المعمل حين كنت تحاول مقابلتها الأيام الخوالي...ضحكت في داخلي وقلت "كيف أحببت هذه العاهرة؟؟ أتراه كان يحبها من قبل...لذلك كان يمنعني من مقابلتها...ربما هي كانت تخونني معه منذ تلك الفترة وأنا في سبات عميق...لا يهم الآن...سيحين الآن عقابهما"

ابتسمت إليها بسخرية وقلت...

_أدهم!! أووه...كيف لي أنسى ذلك...

كيف أنسي هذا الوجه الجميل...

في الحقيقة أنا أعتذر لمقاطعة جوّكما الرومانسي...يبدو أنني جئت في وقت غير مناسب...

_ لا بأس يا أيهم...يظلّ منزلك ومرحبا بك في أي وقت.

زاد غضبي من هدوء ردّها وتعجرفها

_اسمعيني جيدا...أنا لا يهمني إنْ تزوجت أو حتى رحلت، بل بالعكس لقد ارتحت من همٍّ كان يؤرقني لسنوات...ارتحت من عائق كان أمامي...من كابوس لطالما منعني من النوم...أنا أشكرك، فلولاك لما غبت كل هذه المدة ولولاك لما تعلمت كل تلك الأمور التي أحببتها.

ومع تشنجي وحديثي، قاطعني صوت بريء أتبعه عناق من الخلف علمت أنّها ابنتي 'ندى'..

أحسَسْت بشوق كبير لم أشعر به من قبل، فهي الشيء الوحيد الجميل الذي تشاركته مع هذه الحقيرة.

إنّها أملي وسر سعادتي...

شعرت أنّني لم أرها منذ سنوات وهي تقول لي

_أبي...أين كنت؟ ولما غادرت وتركتنا؟

لقد نَسِيت كل شروط سوميا والسّحر وأعوانه، وانهمرت الدموع من عيني وعانقتها بشدة ولا أعلم حقا كم من قبلة طبعتها على خدِّها فلم أعد أدرك شيئا...أدرك فقط أنها جزء مني و ما زلت أحبها مهما مررت به من قساوة في ذلك الكهف المظلم ومهما أبعدوني عن الإحسَاس والإنسَانية لكنّها تظل فلذة كبدي...

_لقد عدت ياصغيرتي...ثم إنّني لم أغب طويلا مجرد ستة أيام...هل اشتقت إلى أبيك؟

_أبي!! كنت تعلمني الحساب والرياضيات وتوبخني حين أخطأ والآن أصبحت تخطئ مثلي، لقد كنت غائبا عنا ستة أشهر وليس ستّة أيام.

اندهشت من قولها!! ربما أخذوني إلى عالمهم وفرْق التوقيت يختلف عنا...أحقا استمرّ غيابي ستة أشهر؟؟ فعلا إنّه أمر غريب...

حاولت أنْ أخفف عنها قائلا:

_لا تغضبي مني صغيرتي...ها قد عدت، وسأعوّضك عن كل الحرمان التي مررت به طيلة تلك الفترة.

ثم أكملت القول في سريرتي " انتظري حتى أنتقم من هذه الشمطاء أمك"
حملتها بين ذراعي وأخذتها إلى غرفتها
_هيا يا حبيبتي عودي إلى النوم الآن...أريد أن أتحدث مع أمك على الانفراد...
_ابي أرجوك...أريد أن أبقى معكما فلقد اشتقت إليك...
_هيا عزيزتي...لا تغضبي والدك...
وضعتها على السرير وكنت أعانقها وأحضنها وأحكي لها الحكايا حتى نامت ثم قمت وتذكرت الخاتم الذي في إصبعي فقربته من فمي وبدأت بترتيل التعاويذ التي تعلمتها حتى ظهر أمامي سوميا...

سوميا

اختفى ذلك الوجه المخيف، أصبح الآن يشبه البشر نوعا ما.
التفّ حولي بسرعة ثم قال:
_اسمع أيها الإنسي...صحيح أنني أصبحت خادمك...لكن، مع كل عمل أنجزه لك وجب عليك تقديم قربان لي.
كنت أعتقد أنّ الأمر سَيصبح سهلا الآن وأن مشاكلي كلّها سَتحل.
كنت أعتقد فعلا بأني حصلت على عفريت المصباح وأنّه سيحقق لي كل الأماني لكن أظن أنّ الأمر مختلف فالواقِع بعيد كل البُعد عن قصص الخيال التي كنّا نُشَاهدها في الأفلام أو تلك التي كنّا نقرأها في المدرسة.
في الواقع لكل خطوة ثمن ولكل هدف تضحية...حقا أصبحت أشبه ذلك الصياد الذي كلّما رمى صنارته في البحر لكي يصطاد أتاه سيد البحر لكي يدفع الأجرة...حقا كنت مخبولا فعلا، لكي أعتقد أنّ في هذا المجال الراحة والسعادة والوصول إلى القمة، لكن ما هو إلاّ سوى مستنقع من القذارة التي تصل بالإنسان الى درجة الحيوانية...تصل بالإنسان للسجود لمخلوق أُمر بالسجود لي...
يا لحماقتي فعلا كيف أعتقد بأنّ شيئا وصفه الله لي بالعدو المبين بأنْ يكون سندا لي أو أن أعتبره خادما وسيحقق لي كل أهدافي إنما هو سيرمي بي في قاع جهنم...

شردت لبرهة وأصبحت أفكّر، ماذا إذا طال الضرر ابنتي كيف سأعيش بعدها...سأُجَنّ حينها...لكن أين المفر، الآن يجب أن أكمل وأصلح ما قمت به وإلاّ فإنّ هذا المخلوق لن يتركني لأعيش في راحة...حتى قطع تفكيري بقوله

_بما أنك تريد الانتقام من زوجتك...سأحقق لك ذلك...

أجبته قائلا

_لكن كيف؟؟

_ستقوم بقتلها هي وزوجها وتشرب دمها وهذا هو قربانك الأول لي وإنْ نجحت في ذلك ستحصل على الخير الكثير...

_لكنك خادمي، ووجب عليك أنت القيام بذلك والانتقام لي...

_ لا يمكنني، بل لا يجوز لي فعل ذلك...أنت عليك التنفيذ، وسأصبح تحت طوعك أكثر كلما كنت أنت مطيعا لي.

سأساعدك أيضًا في تنفيذ المهمّة...فأنا سأمَهّد لك الأمر...لا تقلق أنا معك دائماً الآن مثل ظلّك...

_لكن، ماذا سيحلّ بابنتي؟؟ كيف ستتقبّل غياب أمها؟؟

_دع الأمر لي...لا تقلق بذلك الشأن...اذهب الآن ونفذ ما أمرتك به

شردت لبرهة أفكّر ثم قلت له:

_صحيح أنّني أرغب في عقابها عمّا فعلت ولكن لم أفكّر بقتلها...وإنْ قتلتها ستكون العقوبة وخيمة...سأقضّي بقية عمري في السجن...

_اسمع أيها الإنسي...إنّ لي قدرات لا يمكنك تصورها...لن يستطيع أحد

أذيتك...بل بالعكس نفّذ أوامري و ستصبح ذو شأن...وأعدك بأنك ستستمتع بالأمر.

كان الأمر أقوى من أنْ أرفضه بصراحة، فقلت سأجرب، لا بأس...ثم أنها تستحق الموت هي وذلك المعتوه.
لقد خانتني وستلقى عقابها...
سرت إليها ضاربا كل قوانين الإنسانية والمشاعر عرض الحائط....
كنت أشعر به وهو يسير أمامي مثل الطيف...ربما هو سبقني إليهما لفعل شيء ما...وصلت فوجدتهما الأثنين يشاهدان التلفاز وكأنّ شيئا لم يكن...
تصوّر تخونني مع شخص غريب وتشاهد معه البرامج التلفزيونية بدم بارد والأدهى والأمرّ أنهما في منزلي...حقا لقد زاد عزمي أكثر فليس عليّ قتلهما فقط وإنما تعذيبهما والتنكيل بهما ودفنهما في باحة المنزل....

الإنتقام

جلست على الأريكة بجانبهما ببرود لم أعهده في نفسي من قبل وكلما تعالت ضحكاتهما، انقشع ذلك البرود وأصبح نارا من الغضب تنسيني كل مداركي..."هيا اغضب أكثرفأكثر يا أيهم فلعل الغضب يخدرك ويجعلك لا تشعر بما تقوم به"...كان يعانقها ويقبلها أمامي وهو لا يعلم أنه يرتكب خطأ فادحا...

لقد كان سوميا ينفث خلفهما وعيناه محمرّتان وهو يضحك...

علمت حينها أنه هو من يفعل ذلك ويزيّن لهم أفعالهم لكي يتجرآ عليّ...هو يساعدني...سحقا ما هذه المساعدة التي تدفع شخصا لقتل شخص...آه نسيت بأنّه شيطان...وأنّه يفعل ذلك للإيقاع بي لا أكثر. فضحكاتهما الهستيرية توحي بأنّ بهما خطب ما...

ذهبت إلى المطبخ وأخذت سكينا...ورغم أنّني كنت أسير نحوهما وأنا أحمله في يدي إلاّ أنهما لم يدركا ذلك، بل تماديا في لَهْوهما وعَبَثِهما.

كلفني الأمر نصف ساعة لا أكثر لإنجاز المهمّة وقمت بدفنهما كما أردت فعلا، الأثنين معا في حديقة المنزل بعد أن دفنت معهما بعض التمائم السحرية بطلب من سوميا حيث قال أنّها ستزيدني قوة وصلابة ولربما هي العكس، ليست سوى سلاسل كبّلت بها نفسي ولن أستطيع الخلاص منها...

بعد أن نظفت المكان من أثر الدماء جلست أشاهد التلفاز وأمامي كأسً من دمها وأنا أنظر إليه وسوميا يهمس لي بتعاويذ أردّدها قبل شربه...
شربته دفعة واحدة وأصدرت عويلا ضجّ له كامل المنزل...
_أحسنت أيها الإنسي، لكنك مازالت في البداية...أمامك طريق طويل..
_ماذا؟؟ لقد مللت!!
_الطريق أمامك مازال طويلا...أهم شيء الآن هو أن يصبح اسمك معروفا بين الناس وتصبح لك شهرة ولتحقيق ذلك عليك أن تقوم بأمر بسيط تستدرج به عامة الناس.
قاطعته قائلا
_ ما هو؟؟
_ستذهب الآن إلى المسجد، هناك شخص مُتسوّل ومريض يجلس دائماً في ركن وحيدا فأحيانا يعطف عليه المصلون ببعض الطعام والمال...
مهمتك أنت هي معالجته أمام المُصَلّين لكي تصبح معالجا معروفا ومشهورا بينهم...
_ ولكن كيف؟؟
_ما عليك سوى الذّهاب، وهناك وسأخبرك بما ستفعل.

طَرِيق السّحر

دخلت المسجد كما أمرني...كنت خائفاً حقا فهي أوّل مرة تطأ فيها قدمي عتبة بابه...التفت يمنة ويسرة رهبة من المكان وجموع المُصَلّين تتوافد لإقامة الصلاة وأنا أبحث عن ذلك الرجل...

كنت أرتدي لباسا أبيض لإظهار الوقار والهيبة أمام الجميع، تلك هي أهم ميزة يختص بها كل ساحر وهو خِداع النّاس بالمظهر كي يخفي ما يبطن.

لم يدُم بحثِي طويلا فقد وجدته مثلما أشار سوميا في ركن بجانب الباب حيث كان وجهه عابسًا وحزينا وكأنّ شيئا يرغمه لفعل ذلك...

أحسَسْت فعلا أنّ به خطبا ما حتى أتى سوميا خلفي يهمس لي

_اقترب هذه فرصتك الآن قبل أن يدخل الجميع إلى الصلاة ولن تجد حينها من يرى مهارتك...

أجبته في نفسي

_ولكن كيف؟؟ماذا سأفعل؟؟

لقد نفث سوميا في عيني فرأيت شيئا عجيبا فعلاً...

كان مخلوقا يشبهه حين رأيته أول مرّة، وهو يطبق عليه وكأنّه يكبّله وهناك شيء معلق في داخل معدته...

لقد كان منظرا مرعبا أكثر مما تصورت...

بقيت ساكنا لبرهة حتى وكزني سوميا

_اقترب لا تخف...هذا من أتباعي، وهو يقوم بمهمته على أكمل وجه منذ عشر سنوات بأمر من امرأة أرادت الزواج منه فرفضها فأطعمته من

السّحر...ذلك المعلق في أحشاؤه الذي تراه أمامك...ما عليك الآن سوى أن تقترب وتصيح بأعلى صوتك كي يعلم الناس بأنّ هذا الشخص ممسُوسْ ثم تضع يدك على رأسه وتبدأ باسم سوميا أولا، إيّاك أنْ تنسى ذلك...ثم تذكر دعاء مما تحفظه، أيّ دعاء ليظنّ الجميع أنّك من الرقاة ثم تقرأ الفاتحة آية صحيحة كما هي وآية لا تظهرها جيدا كي لا يتفطن أحد، سأهمس لك في أذنك بما تقوله معها...ثم سيخرج حين آمره بذلك...مهمتك هي جذب الناس فقط...هيا انطلق..

اقتربت منه وبدأت أتفحّصه وهو يقول لي

_أرجوك...أعطني قليلا من المال يا أخي لو سمحت...

كان صوته خافتا بالكاد يسمع...وضعت يدي على رأسه فبدأ المخلوق يبتعد فعلا وكأنّه استمع إلى أوامر سوميا ثم صِحتُ بصوتٍ عالي

_لا حول ولا قوة الا بالله...يا حرام...من فعل بك هذا أيّها رجل.

اقترب أحد المصلين مني قائلا

_دعه وشأنه...إمّا أن تحسن له أو تتركه...نحن نقوم بالواجب معه دائماً...فغالبا ما ينام ويأكل في المسجد.

بدأت الآن أبرز مهاراتي وكذبي وازداد صوتي جأْشًا وقوة

_أهذا ما تسمونه إحسان!!

الرجل به مسّ ومريض أمامكم وأنتم تطعمونه ولا تبالون بما يعانيه...

التفّ جموع المصلّين حولنا وبدأوا يتجمهرون لرؤيتي وأنا أتفحّصُ رقبته ثم وضعت يدي على رأسه قائلا
_ لا تقلقوا سأزيل عنه السّحر بإذن الله...

بدأت بالدعاء كما أمرني سوميا...كان من الأدعية التي كنت أحفظها أيّام المدرسة ونسيت أغلبها...المهم أنهم أدركوا أنّه دعاء.
لم يكونوا يرون ما أرى، حين أدخل سوميا يده في بطنه مع ترتيلي ودفع بذلك الشيء ليتقيّأه من فمه.
صدقا لقد ارتعشت، وحاولت أنْ لا أظهر ذلك للناس، ومن الجيّد أنهم لم يلاحظوا ارتباكي فلقد كانوا منهمكين بالتكبير حين شاهدوا ذلك.
شعرت بالقوّة والفخر وأحسَسْت أنني بدأت أصل إلى هدفي.
كانوا يصافحونني ويشكرونني على فعلي وهم يهمسون فيما بينهم "إنّه شيخ عليم...هنيئاً له بعلمه"
نهض الرجل وكأنه فكّ من رباطه، يحمد الله ويقبّل يدي ويحضنني تارة ويبكي تارة أخرى، إلى أنْ كبّر المؤذن إيذاناً بإقامة الصلاة.
دخلت أسير أمامهم...طلبوا مني أن أؤمّهم لكنني رفضت، فلم أكن أحفظ شيئا من كتاب الله سوى الفاتحة...
كنت لا أصلي، وإنما فقط أقوم بحركات السجود والركوع معهم، فأنا أصلا لم أكنْ على وضوء بل حرام للسّاحر أنْ يتوضّأ، وكيف يقربني سوميا وأنا طاهر...
بعد انتهاء الصلاة، همَمْت بالخروج وما أن عبرت عتبة باب المسجد حتى

سمعت نداءات خلفي تأمرني بالتوقف فالتفت لأجد شيخا كبير في السن... اقترب مني قائلا

_أرجوك سيدي الشيخ، أنجدني!!

_ماذا هناك يا عمّي، هل لك طلب؟؟

_نعم يا شيخ...فلدي ابنة مريضة وأريدك أن تقرأ عليها لعلّك تشفيها...

التفت وهمَسْت في داخلي!! أين أنت يا سوميا، أخبرني ماذا أفعل الآن"

لم أجد له أثرا لكنني قلت له

_هيا يا عمّي لنذهب إليها الآن...وأنا شافيها بإذن الله...

سرت أتبعه وهو يمشي أمامي، كان مبتهجا ويردد الدعاء لي منذ خروجنا من باب المسجد وهو لا يعلم أنني ساحر وأنني ربما أفعل معه عكس ما يظن...لم أعره أي اهتمام فلا تهمني سعادته ولا شفاء ابنته...ما يهمني هو أن أصل إلى مبتغاي...مجرّد مصلحة لا غير.

كنت أهمس وأردّد التعاويذ وسوميا لم يحضر بعد...لا يمكنني التراجع الآن...يجب أن أذهب معه، فهي تعد فرصة أخرى أكتسب بها ثقتي أمام الناس وإن يكن.

أخيرًا وصلنا إلى منزله...عبارة عن شقة صغيرة، بدت وضعيته صعبة من طلاء منزله المشقق، الفوضى التي تعم المكان توحي بأنّ زوجته متوفاة، هو وحيد مع ابنته...

سمعت عند دخولي صوتا غريبا، وكلما اقتربنا من غرفة كانت في أخر الشقة، مغلقة وبابها يختلف عن باقي الأبواب، كلما ازدادت قوة الصوت حدّة.

فالباب متين من الفولاذ الصلب معد خصيصا للصمود أكثر، ويبدو أنّه قد أنشئ حديثا فحوافه الأسمنتية لم تطلى بعد...

اقتربنا فأخذ يبحث في جيبه ليخرج المفتاح، وما إن فتح الباب حتى تعالت صيحة مفزعة من الداخل كادت أنْ تعيدني أدراجي لكنني قلت في نفسي "ما بك يا أيهم...لم يفزعك منظر سوميا المخيف في ذلك الكهف حتى تفزعك فتاة صغيرة"

دخلنا الغرفة حيث كانت تقبع هناك مكبلة بطريقة وحشية نوعا ما.

شَعرُها المُجعّد والمنتوف وثِيابها متّسخة وهي تهتزّ وعيناها محمرّتان وكأنّني أشاهد الفيلم الأمريكي الممسوس...

تنطق بكلمات لم أفهمها وكلما نظرت إليها قابلتني بنظرات حقد وكراهية وعيناه تتسع وهي تزمجر" أأأوف ما هذه الورطة...ثم أين ذلك الوغد سوميا تركني ومضى...لما لم يظهر؟"

تذكرت أمر الخاتم فهمست للرجل بأن يذهب إلى المطبخ ليحضر لي بعض من الماء كي أنفرد بنفسي واستحضر ذلك الشيطان، وما إن خرج حتى وضعت الخاتم في فمي وتلوت تعاويذي إلى أن ظهر أخيرا...

شعرت بغضب وأنّه لو كان بمقدوري للكمته على وجهه القبيح

_أين كنت، لما اختفيت وتركتني في وضع محرج؟؟

_أحدهم كان يقرأ الأذكار بصوت عال خارج المسجد فتأذيت واختفيت لبرهة...

_ المهم، ماذا سنفعل الآن؟؟ انظر إلى الفتاة...أتستطيع فعل شئ لها؟
_انتظرني لحظة حتى أسأل قرينها ليمدني ببعض المعلومات كي تساعدك لتبدو أمام الرجل كالعالم المتميز...
كنت أشاهد فحسب، لقد هدأت كليًّا عندما اقترب منها، وانصاعت وكأنّ أحدًا يُحدّثها بل أصبحت تبتسم وتتمتم له.
بدأت ارتاح، فالأمر انزاح عن عاتقي وتركت الأمر له، إلى أن دخل الرجل وهو يحمل قارورة الماء فأخذتها منه وبدأت اقرأ عليها وسوميا يهمس لي وأنا أعيد ما يقول حتى بدأ الماء بالثوران فاندهش الرجل وجحظت عيناه وسكت وكأنه أحسّ بالخوف، فحاولت طمأنته بمعلومات التي مدني بها سوميا قائلا
_ابنتك اسمها منى على اسم جدتها، أليس كذلك...
أجابني بتلعثم
_أجل...أجل...
_لا تخف، فمشكلتها بسيطة...
كانت تغني في الحمام عندما كانت تستحم وتنظر لنفسها عارية أمام المرآة فأعجب بها شيطان فتلبّسها، لا تقلق فالأمر بسيط سنخرجه بإذن الله.
اقتربت منها وأخذت أرتشف من ماء القارورة وأنفث عليها ببعض الدعاء المختلط بتراتيل سحرية وهي تصيح وتئنّ...تسبّ وتلعن بأبشع النعوت وتتكلم بلغات شتى...أنا أنفث وسوميا يقف بجانبها حتى أمره فخرج منها بسرعة فخارت قواها المسكينة وسقطت...

لقد انقشع الضّباب عن عينيها ونهضت تبتسم وهي تردد
_أبي...ما الذي يحصل؟ لم أنا مربوطة؟ أرجوك فك وثاقي...
اقتربت منها وقلت
_لا تخافي يا ابنتي...انتظري سأفكّ وثاقك وينتهي الأمر...

بدأ والدها يحتضنها ويقبلها ويبكي وهو يشكرني ويكاد يجن من الفرح...كيف لا، فهي ابنته الوحيدة وكادت تضيع منه...دموعه تنهمر وهو يحدثني
_شكرا لك أيّها الشيخ الجليل، لقد أنقذت ابنتي، لم أذق طعم النوم منذ أن أصابها هذا المرض وأحضرت لها الأطباء والمشعوذين ولم يستطيعوا معالجتها إلى أنْ ساقك الله إليّ...
الحمد لك والشكر يا ربي أن سخرت لي هذا الرجل الطيب.
قبل أنْ أغادر كتبت له بعض التمائم وأشرت لها بأن تضعها معها دائما في ثيابها كي تحميها...
حاول أن يعطيني النقود لكنني رفضت، ليس رأفة به وإنما لكسب الثقة وكإشهار لنفسي بأنّي رجل صالح وأساعد الناس.
خرجت وأنا أسير وأتبختر متفائلا بمستقبل واعد بهذا المجال، ثم أنني أحسَسْت أن سوميا يملك قوة أكثر من غيره من بني جنسه، فقد قال الرجل أنّه أحضر مشعوذين وسحرة مثلي لكنهم لم يستطيعوا معالجتها وسوميا استطاع ذلك، وهذا يعني أنّه جني قوي وسأصل معه إلى القمّة والشهرة.

كنت أضع نصب عينيَ الثراء والكمال وحب الناس وأنا أتخيّل نفسي الشيخ ذو الحكمة، إلى أن وصلت إلى المنزل وأنا منهك القوى وأريد أن أرتاح بعد هذا التعب وغايتي أن أنام فورا، وما أن فتحت الباب حتى استقبلتني ابنتي وهي تحتضنني

_أبي...أبي...أين كنت؟؟ أين هي أمي؟ أليست معك...

تسمّرت في مكاني ولم أستطع قول شيء، حتى سمعت صوت خلفي يشبه صوتها يقول

_ ابنتي العزيزة، ها قد أتيت...

التفتت لأجد زوجتي أمامي، إنّه سوميا وقد تشكّل بهيأتها...

سيرانا

يا للهول إنه يشبهها تماما!! لقد أذهلني بقدراته حقا، وكأنّه هي!!
حملها واحتضنها وأخذ يلعب معها.
كاد يخدعني...سحقا وكأنّ زوجتي خرجت من القبر!!
سار بها إلى المطبخ وأعد لها الفطور وأطعمها، أتقن الدور جيدا...لكن إلى متى؟؟ لا بأس، المهم الآن أنّني كنت خائفاً ومترددا كيف سأشرح لها غياب أمها لكنه أنقذني من تلك الورطة...
ذهبت إلى غرفتي فقد كنت متعبا جدا ويجب أن أرتاح...
"ويلي كيف أنام، وأترك ابنتي بين يدي ذلك الشيطان...لكنه الآن خادمي والأكيد أنه لن يؤذيها...هيا نم يا أيهم ودع عنك تلك الأفكار السلبية"
وما إنْ وضعت رأسي على الوسادة حتى همس لي
_ لا وقت للنوم الآن أيّها الإنسي...

التفتّ وقد أصابني الهلَعْ
_ماذا تفعل هنا؟؟ لما تركت ابنتي وحدها؟؟ ألم تعدني بأنّك ستعتني بها...
_لا تقلق هي بيد أمينة الآن، فلا تخف...
انتفضت من الفراش وهرعت مسرعا إلى المطبخ، بحثت هناك فلم أجدها...كدت أجن...أنا أسمع ضحكاتها ولا أدري أين هي؟؟ بحثت في المطبخ...في الحمام...أين أنت؟؟ ماذا فعلت بابنتي؟؟ خرجت أبحث وأنفاسي تكاد تنقطع...

وجدتها أخيرا خارجا، تلعب بالأرجوحة مع أمّها أو ذلك الشيء الذي يشبه أمّها...

ذهبت إليها مسرعا واحتضنتها وأنا أبكي...

_ابنتي...صغيرتي...هل أنتِ بخير؟؟

_ما بك أبي!! أنا العب مع أمي بالأرجوحة، لما أنت خائف هكذا!!

رفعت رأسي إلى ذلك الشيء...

كانت تبتسم لي ابتسامة مخيفة وتبطن الشر...أنزلتها من الأرجوحة

_هيا حبيبتي...هيا معي إلى غرفتي...ستنامين بجانبي...من الآن لا تغيبي عن ناظري لحظة واحدة...

خاطبني ذلك الشيء الذي يشبه أمها

_لا تخف يا عزيزي...دعها تلعب، فلقد كانت مستمتعة...

تجاهلتها ولم أجبها، وسرت بها حتى وصلت أمام الباب لأجد سوميا أمامي...

صرت أنظر إليه تارة والتفت ورائي تارة أخرى، فذلك الشيء مازال موجودا وهوأمامي أيضًا.

دارت تساؤلات في عقلي وكدت أنفجر غضبا، أحسَسْت بألم في رأسي وصرت أتلعثم قائلا

_س...سو...ميا...أخبرني من هذا الشيء؟؟

_لا تخف إنّها من أتباعي...ستعتني بابنتك جيدا، بل ربما أفضل مما كانت تقوم به أمها...أنت لا تعلم أنها كانت أغلب الوقت تتركها وحدها في

المنزل...أما سيرانا فلن تتركها أبدا...

_ماذا...سي...سس...سيرانا، من هي؟ من تكون؟

_إنها جنية...لا تخف، فهي تحب الأطفال...إنّها كما تسمونها أنتم البشر بالتابعة لا تلقي لها بال...لن تؤذيها...لن تفعل شيئا خارجا عن طوعي...اهدأ فقط وأبق عقلك مرتاح وفي تركيز تام فلدينا عمل كثير يحتاج منك أن تبقى هادئًا...

_قلت تركيز!! هدوء!! أي تركيز يا هذا!!

قاطعتني ابنتي وهي خائفة

_أبي...مع من تتحدث؟؟

أجبتها بغضب وكدت أضربها وأؤذيها

_قلت لك اصمتي...لا شيء...

بدأت المسكينة بالبكاء فشعرت بتأنيب الضمير وضممتها إليّ

_سامحيني يا صغيرتي، أنا آسف، فأنا متوتر قليلا، لذلك صرت أتحدث مع نفسي...

_لكن أبي، لما لم تتركني ألعب مع أمي؟؟

_لا يمكنك اللعب معها الآن...قلت لك...

حتى لمسني ذلك الشيء الذي يسمى سيرانا من الخلف وهو يحاول أخذ ابنتي مني..

_تعالي حبيبتي، لا تبكي فوالدك مشوش قليلا، تعالي معي إلى المطبخ سوف أعطيك بعض من المثلجات التي تحبينها...

حاولت دفعها قائلا:

_اتركي ابنتي!! دعيها وشأنها!!

فنهرني سوميا قائلا:

_دعها يا أيهم...قلت لك لا تقلق، ستعتني بها...

أنظر إليها وهي تأخذها من بين يدي وشعرت بضيق في صدري وأصبحت نادما لفعلي.

ماذا فعلت بابنتك يا أيهم؟!!

دخلت خلفهم وأنا مشوش الأفكار وجسمي يهتز من التوتر.

كنت أنظر إليها وهي تقدم لها المثلجات، ماذا إنْ آذتها؟؟

همس لي سوميا وكأنّه يعلم ما بداخلي..

_أيهم!! قلت لك لا تقلق تعال إلى الغرفة، أحتاجك في أمر ما، لكيلا لا تظهر كالمجنون أمام ابنتك وأنت تتحدث لوحدك...

كنت أجرّ ساقيّ جرّا إلى غرفتي فبالكاد تحملانني، استلقيت بكامل جسدي على السرير انظر إلى السقف...مازال الغضب يكاد يقطع أوصالي..

_ اسمعني جيدا أيها الإنسي، سيشب حريق اليوم في الحي...

تحديدا في منزل جارك...وأنت ستكون المنقذ...

_اتركني الآن...دعني وشأني...

استدرت إلى الجانب الآخر وتجاهلته مغلقا عيني لكي أنام، لكنه واصل حديثه

_أنا سأقوم بالحريق، وأنت ستنقذ الجميع لتظهر كالبطل المنقذ...لا تخف لن تؤذيك النيران فأنا أتحكم بها...

_ قلت لك، أرجوك...دعني أرتاح الآن...لقد مللت حقا...

أحسست بسخونة أنفاسه وقد اقترب مني وهو يقول:

_ لا تتأخر، سأنتظرك هناك...

تجاهلت كلامه وأغمضت عيني محاولا النوم.

سرحت بفكري لبرهة، ثم فتحت عيني أنظر في ارجاء الغرفة...أخيرا قد ذهب...

لا أعلم كم نمت أو كم مضى من الوقت، فلقد أيقظني ضجيج وصراخ مفزع...أول شيء كنت أفكر فيه في ذلك الوقت هو...ندى، ابنتي... خرجت مسرعا...

كان الدخان يتصاعد من أحد المنازل المجاورة...لم أهتم قط، فلتحترق كل المنازل لا يهمّني...

كنت فقط أحتاج أن أجد ندى وأطمئن أنّها بخير...لم تكون موجودة حتى على الأرجوحة.

خرجت باتجاه مصدر الحريق أبحث عنها...ربما كانت تشاهد مع جموع الناس فلم أجدها، إلى أنْ لمحتها تصيح من شبّاك المنزل الذي يحترق وهي تلوح لي بيدها وتصيح

_أبي!! أبي!!

لم أشعر بهتاف الناس وتحذيرهم لي بالابتعاد...
لقد سرت كالمجنون داخل النار...
كانت محبوسة في غرفة والنار تحيط بها من كل جانب، كنت كلّما اقتربت انزاحت النيران من أمامي، إلى أن وصلت إليها...حملتها وهممت بالخروج مسرعا...
لكني وجدت في الغرفة المجاورة امرأة ورجل، وقد توّقتهم النيران هم أيضا ولم يستطيعا الفرار وهم يستنجدان بي لإنقاذهم...لم أعرهما أيْ اهتمام...حاولت أن أخرجها لكنها صاحت في وجهي بقوة...
_ أنقذهما يا أبي...لا تتركهما...
لم أستطع رفض طلبها، فهي فلذة كبدي والسبيل الوحيد لإيقافها عن البكاء وإخراجها من هنا هو إنقاذهما، فدفعني إلهام في رأسي، لا أعلم من أين جاءتني الفكرة، لكنني نفخت على النيران التي كانت حولهما بقوة فانزاحت
صحت بهما بغضب
_هيا اخرجوا...بسرعة...
كنت أجري خلفهم والنيران تطوق المكان ولا تنزاح وتخمد إلاّ لعبورنا حتى وصلت خارجا...بدأت هتافات الناس لي بالشّكر، لم أكن اهتم بهم سوى بعناق ابنتي والاطمئنان على سلامتها التي كانت تقول لي
_اتركني...اتركني...
نظرت لوجهها لأخفف عنها فأصابتني الدهشة...فلم تكن هي...

ندى

ذهلت وكدت أرمي بالفتاة من حضني لشدة غضبي...وهي تبكي وتقول _اتركني...اتركني..

كانا والداها هما اللذان أنقذتهما معها...أخذاها مني وسط دهشتي وهم يشكرانني...التفّ الناس من حولي وكادوا يحملونني لشدة فرحهم...كنت التفت يمينا ويسارا وأنظر بينهم أبحث عنها لعلّي أجدها...

عدت مسرعا إلى المنزل فلربما تكون هناك وأنا لم ألاحظ ذلك أو ربما عادت بعد أن شعرت بالخوف...

لقد كانت صدمتي كبيرة حين وجدتها تلعب بالأرجوحة مرة أخرى مع ذلك المخلوق الذي يدعى سيرانا...كيف لم أرها؟؟ يبدوأنّ سوميا عبث بعقلي وأرغمني على الذهاب لإنقاذهم عنوة واستغل حبي لابنتي...

تمالكت نفسي وأخذت نفسا عميقا لأهدّىء من روعي...لا أريد أنْ أصيح في وجهها مرة أخرى...سرت نحوها رويدا رويدا...تعالت ضحكاتها وكانت مستمتعة باللعب مع ذلك الشيء...وحين رأتني صاحت وهي مبتسمة...

_أبي...استيقظت أخيرا...

نزلت عن الأرجوحة وارتمت في حضني...كنت أحضنها بقوة وأقبّلها من شدة شوقي حتى أحسست أنّها تألمت...

_ما خطبك أبي!! أشعرتني وكأنّك لم ترني منذ مدة وأنت تقبّلني بقوة هكذا...

بدأت الدموع تتساقط من عيني فأخذت تمسحهما بيديها الصغيرتين وأنا أقبّل يديها وأقول في نفسي "ماذا فعلت بابنتك يا أيهم لقد حرمتها من أمّها و جعلتها تلعب مع شيطانة"

_أبي أنا بخير...لا تقلق فأمي تعتني بي جيدا...

_سامحيني يا ابنتي...سامحيني..

لم أستطع مسك نفسي عن البكاء فأصبحت أبكي كالطفل....المسكينة رأتني وأنا بهذه الحال فأصبحت تبكي معي..

_أرجوك أبي لا تبكي...أتريد أن تلعب بالأرجوحة معنا...

حملتها بين ذراعي...

_هيا عزيزتي...لنعد إلى الدّاخل..

_ولكن أريد أن أكمل اللعب مع أمّي...

_ هيا...سنلعب في الدّاخل...

كانت نظرات سيرانا لي تختلف عن نظراتها لابنتي، كأنّني عقبة أمامها وتريد أن تتخلص مني لتنفرد بها...لا أعرف من أين جاءتني هذه الفكرة لكنني حقا بدأت أشعر بذلك...نظرات مخيفة وحقد دفين تجاهي.

دخلت إلى المنزل فوجدت سوميا أمامي وهو ينتظرني..

_أحسنت أيّها الإنسي...لقد أنجزت مهمتك بنجاح..

تجاهلته ولم أجبه فأنا لا أريد أن أتشاجر معه مرة ثانية أمامها...

تركتها في غرفة الجلوس لتشاهد التلفاز ووضعت لها الصور المتحركة وتعمدت أن أرفع الصوت كي لا تسمع شجارنا.

ذهبت إلى الحمام لأغسل وجهي لأستفيق من غيبوبتي فتبعني سوميا وأغلق الباب خلفه

_ماذا تريد الآن؟؟ لقد عبثت بي مثلما أردت...وجعلتني أهَروِلُ كالمجنون بين الناس...أهذه هي الهيبة والسلطة التي صرعتني بها...

تعالت ضحكاته وهو يقول

_ما بك أيّها الإنسي...أنسيت أنّك رفضت طلبي، لقد أرغمتني على فعل ذلك، فلو أنك ذهبت من تلقاء نفسك لما حصل الذي حصل...لقد جعلتني أرسم لك هذا الفيلم حتى تنجز مهمتك بنجاح...وها قد انتهى الأمر...

_اسمعني أيّها العفريت...بصراحة بدأت أرغب في الانسحاب... أرجوك...دعني وشأني، خذ شيطانتك تلك واذهب...لقد طفح كيلي وأريد أنْ أرتاح...

_لا يمكنك الانسحاب من هذا العالم...أنسيت أنّك عقدت اتّفاق ولا يمكنك إلغاؤه...عليك المثابرة حتى تصبح ساحرًا مشهورًا وسترتاح حينها وتقر عينك وحينها ستشكرني...

دبّ القلق في قلبي فقلت له:

_ لا بأس...لقد أخطأت من البداية وها أنا أتحمل العواقب...

ماذا الآن...هل هناك مهمة أخرى؟؟

_أكيد...ففي عالمنا لا مجال للراحة...يجب أنْ تكون مستعد دائما...

أصبحت مشهور الآن...بعد قليل سيأتي أصحاب الحريق الذين أنقذتهم ليشكروك ومعهم جمع من الناس...سيستدعونك الليلة لمأدبة عشاء فرحا

بنجاتهم وكشكر لك، وستذهب...

قاطعته :

_لن أترك ابنتي وحدها مع تلك الشيطانة...

_قلت لك لا تقلق بشأن سيرانا، فهي تحت طوعي، ثم إنّك ستأخذ ابنتك معك وسيرانا أيضا ستذهب معكم...وأغلب سكان الحيّ سيكونون هناك هذه فرصتك...

هناك فتاة مشلولة سأخبرك بها حين تصل...ستعالجها، وتلك ستكون نقطة تحوّلك....

_ثم ماذا بعد ذلك...

_ لاشيء...سترتاح بعدها وسيأتيك الناس إلى منزلك...لن تتعب نفسك بعد ذلك...ستصبح الطبيب الروحاني المعالج بالقرآن...

_حسنا..إنْ كان الأمر كذلك، فأنا موافق...

خرجت من الحمام مبتسما وذهبت ألعب مع ابنتي في غرفة الجلوس حتى رنّ الجرس....فتحت الباب....لقد صدق فعلا وهو كذوب، فجارنا صاحب الحريق ومعه بعض الجيران الآخرين أتوا لشكري...تصافحنا بودّ... أظهرت أمامهم الهيبة و الوقار ودماثة الأخلاق كالمعتاد وكنت أحمل مسبحة في يدي وذلك الخاتم في إصبعي...أصبحت حكيما فعلا...

فبعد عناق وترحيب حار استدعوني للمأدبة، فأشرت بالموافقة وكان ذلك حيث ارتديت أفضل اللباس وتزينت وجهزت نفسي وذهبت أنا وابنتي وسيرانا كالأبله، كأنّ شيئا لم يكن....

كانت تشبه زوجتي جدا، لم يلاحظ أي أحد الاختلاف بينهما، بل رحّبوا بها وفرحوا لقدومها، كان الجو صاخبا فعلا...لقد جهزوا لي طاولة وكأنّني سلطان والكل فرح بخدمتي...كنت أجلس وهم ملتفين حولي...أصبحت مثل مختار الحي أو عمدة القرية...يتلمسون رضاي ويفرحون لابتسامتي...إلى أن قدمت امرأة هي وابنتها...

طفلة تمشي بصعوبة رجلاها ملتويتان ويديها أيضًا...لا تتحكم في شيء...ترتعش المسكينة واللعاب يسيل من فمها، تبدو مثل مرضى التوحد...وقفت أمها أمامي تستعطفني.

لاحظت من كلامها بأنّها تعرف قدراتي، ربما أخبرها صاحب الحريق فلقد رآني كيف أخمدت النيران حين أنقذتهم...المهم أنّ الأمر أعجبني، أحسست بمتعة كبيرة وروح التفوق والسيادة...نظرت فوجدت سوميا خلفها.

كان يحدثني ولا أحد يسمعه غيري...

_هيا أيهم، أرهم مهاراتك...

اقترب منها واتفل في يديك وامسح وجهها بريقك واتلو دعاءك المعتاد وسأتكفل أنا بالباقي، لا تهتم...

نهضت من الكرسي بعد أنْ وضعت المسبحة من يدي، سميت الله كي أبدو كالفقيه الواعظ ثم اقتربت منها، فعلت مثلما أمرني، ظللت أمسح وجهها وهي المسكينة تبتسم لي ولا تدري ما أفعل...لقد دخل سوميا في نخاعها الشوكي خلف رقبتها وخرج بلحظة خاطفة...يبدو أنّه أصلح شيئا ما في أعصابها التي كانت تالفة فعادت كما كانت وشفيت تماما.

ذهل كل الحاضرين ولن أخبرك عن فرحة أمّها بشفائها وهي تنظر إليها بتلك الحالة أول مرة، لك أن تتخيل مقدار سعادتها...ظلّت تقبل يدي وتشكرني والجميع يدعوني بالشيخ الحكيم.

أصبحت ذو شأن الآن بعد أن كنت من قبل لا أحد يلتفت إليّ، سكيرا وضيعا أغلب أوقاتي أقضيها بين الحانات...الآن أصبحت المعالج الحكيم....

بعد ما أكملنا سهرتنا تلك، عدت إلى المنزل وأنا سعيد أحمل ابنتي وألعب معها...حقا تلك الشيطانة لم ترقني...أنا أكره زوجتي أصلا فكيف بشيطانة تشبه شكلها....

وصلت إلى المنزل وقد نامت ابنتي في حضني...تعبت من اللعب طوال السهرة...وضعتها على السرير وأغلقت باب غرفتها وذهبت لأكمل سهرتي في غرفة الجلوس أشاهد التلفاز، لم أشعر بالنّعاس بعد، بسبب الأرق المتواصل الذي انتابني في الآونة الاخيرة منذ أن غادرت ذلك الكهف اللعين...

جلست على الأريكة بعد أن فتحت التلفاز، إلى أن شعرت بشيء يجلس بجانبي، خلته سوميا فالتفت لأجده مخلوقا بشعا مفزع المنظر يقول لي : "لماذا تكرهني يا أيهم"

المسْخ

نظرت إلى ذلك المسخ أمامي...لقد كان منظره مخيفا للغاية لكنني اعتدت على صور هذه المخلوقات المقززة بل أكملت مشاهدة التلفاز ولم أبالي بوجودها...

ربما كانت تريد إخافتي بتلك الصورة، وإلاّ لم تظلّ بشكل زوجتي الجميل...سكبت كأسًا من العصير من قارورة كانت على الطاولة ورحت أرتشف ببطء...لن يغضبني أحد بعد الآن...بل لن يعكر مزاجي أي مخلوق مهما بلغت درجة بشاعته، سأظل صامدًا حتى أصل إلى مبتغاي وحينها سأفعل ما أشاء...المهم أن أحمي ندى وأسعدها ولا يهمني في الباقي...التفتّ إليها ببرود وقلت

_هل تريدين إخافتي بهذا الشكل أم ماذا...أنت تحلمين...

لم يخفني سوميا في ذلك الكهف اللعين حتى تخفينني أنت بمنظرك الجميل هذا...

تعالت ضحكاتها وقالت:

_ألَم تُخفك تلك الأفعى الضخمة...ثم من الذي أدخلك إلى هذا العالم...ألست أنا من مهد لك لتجد ذلك الكتاب يومها...

فلولاي لما تعلّمت السحر...أكنت تظن أنك أنت من اختار هذا العالم...أنت مخطئ...نحن من نختار أيّها الإنسي...ونحن من نقرر من هو الكفء بدخول عالمنا ومن هو قادر على تحمله.

اندهشت لقولها لكنني تمالكت نفسي وحاولت أنْ أظل هادئا ربما كي

أغيظها

_جميل جدا...يبدو أنّك أنت من كنت تلك الأفعى...

_أجل، وأنا من يعبث بعقلك طيلة الوقت...فسيدنا سوميا يأمر ونحن ننفذ...

أتظنّ أنّني فقط من خدمه...أنت واهم أكيد...سوميا هو ملك الشياطين وهو سيّد خدام السّحر في كل مكان...كلفه ربنا إبليس منذ زمن بهذه المهمة ولا أحد يخرج عن طوعه...

_قلت ربكم إبليس...ماذا تقصدين بربكم؟

_ هو ربنا، فهو من خلق جميع الشياطين...نحن من نسله، نطيعه ونعبده...ونضحي في سبيله...ونطلب الشهادة في سبيل إنجاز مهمتنا، وهي خدمة السّحر وتدمير جنسكم البشري...فنحن منظّمون ولنا عهود وقوانين لا نخلف بها.

كما أنّ لنا عفاريت تحكمنا ولا نحيد عن أمرها، لسنا مثلكم أيّها البشر، ضعفاء ومشتتين وتأكلون بعضكم البعض...

غيرت من جلستي وأحسَسْت بأنّ الأمر بدا شيقا، وودت أنْ أعلم أكثر عن عالمهم فقلت

_ماذا تقصدين بعفاريت..

_العفاريت هم ملوك جنسنا وهم أسياده، ولهم خدم من الجن وكل عفريت له حاشيته...كذلك هناك المردة وهم أقل قوة من العفاريت وهم أصحاب السماء...

قاطعتها قائلا

_أصحاب السماء!!!....ماذا تقصدين..

_هم الخدام العلويون، فالشياطين المردة هم أقوى جن طيار يصلون إلى السماء ويسترقون السّمع ويأخذون المعلومات عن عالمكم.

_جيّد...وأنت من أي نوع...

_أنا شيطانة...أنا تابعة لسيدي سوميا...

_وهل سوميا من العفاريت؟

بدأت تضحك في هستيريا وقالت..

_سيدي سوميا...هو سيد العفاريت كلهم أيّها الأحمق...إنّه من المقربين من ربنا إبليس.

_إذا هو قوي للغاية ؟؟؟

_قوي...ماذا تقصد بقوي؟

_ يعني، يستطيع فعل كل شيء يريده...أليس كذلك..

_قلت لك إنّه سيد العفاريت...يعني وضع له ربنا إبليس التاج...أتفهم ما معنى أنْ يضع له ربنا إبليس التاج، أي أنه أصبح من المقربين منه وأصبح أكثر قوة وأكثر أتباعا.

_ممم....جيد...وكيف وصل إلى هذه الدرجة؟؟؟ يعني ما الشيء الذي فعله لينال هذه الرتبة...

_لا أعلم بالضبط...لكن حسب علمي أنّه فرق بين دول وتسبب في حروب بين بني جنسكم...هذا ما أعلمه...

_قلتِ إنّكم اخترتموني لأكون ساحرا، فما الذي وجدتموه في شخصي كي أكلّف بهذه المهمة...

_لا...تلك أسرار عالمنا...ولن أبوح لك بها...

_حسنا...حسنا، لا يهم...أريد فقط أنْ أعلم كيف يكون السّحر

حدقت بي مطولا ثم اقتربت مني بوجهها العفن، كريه الرائحة وهي تقول:

_السّحر هو لغة مثل لغتكم التي تتحدثون بها...

هو وسيلة مخاطبة بين عالم الإنس وعالم الجن...السّحر هو الذي يربط بين العالمين، فمن غير السّحر لن يكون هناك اتصال بيننا وبينكم...أنت مثلا تستطيع رؤيتنا لأنك استعملت السّحر، لتدخل عالمنا وتراه ونحن نسمح لك بذلك بطبيعة الحال...أنت لا تعلم أننا نتطور بالسّحر، ونكتشف كل يوم شيء جديد عن أجسادكم وما تحتويه...كلّما اكتشفناكم أكثر كلما سيطرنا عليكم...

_كيف؟؟ في الحقيقة، اختلط علي الأمر ولم أفهم..

_اسمعني جيدا لتفهم...السّحر هو علم بالنسبة إلينا مثل علومكم التي تتعلمونها، لكنه أسمى وأقدس بالنسبة إلينا، فمن يموت في سبيل خدمة سحر ينال الشهادة ويصبح من المقدسين في عالمنا...كما أننا به، نسيطر على عالمكم...فكل الأمراض الحديثة التي عجز جنسكم عن كشف أسرارها هي من فعل سحرنا، نحن نكتشف كل يوم أجسادكم ونبث سمومنا فيها ونتحكم أيضًا....

قاطعتها متسرعا بقولي..

_مثلما فعلتم مع تلك الفتاة المشلولة...

_أجل...أصبحت تفهم الآن...هناك شياطين خفية تكلف بسحر المرض وتترصد أيضا بالضّحايا عن طريق العين...

_العين...وماهي العين؟

_العين هي طاقة سلبية يأخذها الشيطان من جسد الانسان من فعل الحسد أوالغيرة ويحولها إلى سهام يرمي بها المعيون...فالعائن بحسده وبغضه يساهم في دخول الشيطان ويمهد له لفعل ذلك بالمعيون

_آه...فهمت...يعني هناك حدود...لا تستطيعون فعل شيء إلاّ عن طريق تمهيد الإنسان لكم...

_أكيد، فلنا حدود وضوابط لا نحيد عنها....

كنت أتحدث في نفسي وأقول...هي ليس حدود أنتم وضعتموها، وإنّما وضعها الرب جل في علاه، ولو كان الأمر لكم لكنتم أبدتمونا...

قطعت تفكيري وواصلت حديثها..

_أنت الآن من أتباعنا، يعني صرت منا، فلا تفكر بالرجوع، فالعقاب وخيم أيّها الإنسي....

_لا...لا...لا أفكر في الأمر بتاتًا، أنا فقط أسال لأفهم وأعي، وأكتشف كي لا أخطأ...

_جيد إذا...

مازالنا كذلك حتى قطع حديثنا سوميا وهو يحمل شخصا...وضعه أمامي وهو مغمى عليه حتى أصبحت أرتجف من الخوف...

السيّد حمدي

كان الرجل مغمى عليه وتنبعث منه رائحة كريهة، يبدو أنه مخمور...رماه أمامي ثم قال...

_أحضرت لك صيدا ثمينا يا أيهم...

_ما هذا؟ لما أحضرت هذا الشخص إلى هنا؟؟ ما الذي فعله؟ ثم كيف استطعت إحضاره؟

_هذا الشخص كان عائدا من الحانة ليلة البارحة، تبول في الطّريق فأصاب أحد أتباعي بأذى، فغضب وكاد يقتله لولا أنّني تدخلت و قلت له أنّه يلزمنا في أمر ما...

أجبته بانفعال

_ما الذي سيلزمنا فيه؟ ثم لما أحضرته إلى منزلي؟؟ سيلاحظ أهله وذويه اختفائه المفاجئ وسيبحثون عنه ويعلموا الشرطة بغيابه وحينها سأقع أنا في ورطة وسأوضع في السجن.

_ما بك أيها الإنسي دائم الخوف من السجن...كلما فعلت شيئا ترتجف مثل العجوز...صدقا لقد خاب ظني فيك...لم أعهدك جبانا في ذلك الكهف....ما خطبك الآن، تغيرت منذ أن أصبحت وحيدا دون زوجة...إن أردت زوجتك سيرانا...

قاطعته قائلا:

_كف عن هذا المزاح الثقيل وأخبرني ما خطب هذا الرجل.

_مثلما أخبرتك...الرجل قام بفعلته تلك وأنا أحضرته لكي نستغله في أمرنا...

_ وفيما سنحتاجه؟

_أنت ستعيده إلى أهله...سآخذه معي إلى عالمي وسأحْبِسُه هناك وأنت ستذهب إلى عائلته، وتخبرهم بأنّك تستطيع معرفة أين يوجد وستقوم بجلبه...

قاطعته مندهشا:

_ولكن كيف؟

_ ما عليك سوى الذهاب، وأنا سأتكفل بالباقي...

_هكذا هي الأمور سهلة بالنسبة إليك...اطرق الباب...سلام عليكم، أنا أيهم وأعرف مكان ابنكم وسأحضره لكم وانتهى الأمر...

تعالت ضحكاته من كلامي وقال:

_أنا أعلم أنك ذكي، وستجد طريقة لفعل ذلك...

_اسمعني جيدا...ببساطة، عالمنا ليس كعالمكم...تدخلون دون استئذان و لا قوانين تحكمكم ولا شريعة تنهاكم...

_لاتصعِّب الموضوع فالأمر بسيط...ستقول لهم أنني معالج روحاني وأستطيع معرفة مكان اختفاءه وجلبه...هذا كل ما في الأمر.

التقطت أنفاسي ثم أجبته:

_لكن يلزمني بعض الوقت لأعرف مكان سكنه واسمه واسم عائلته سيتطلب مني أيام من البحث و الإستقصاء ؟

_بالنسبة لمكانه فلا تهتم...سآخذك إليه الآن...

_لا...لا...لا أحب الطيران...أنا أصلًا لدي فوبيا من الأماكن المرتفعة...
_لا تخف لن تطير...فقط أغمض عينيكِ...
لقد أحسَسْت حين أغمضت عيني بارتجاف خفيف في كامل جسدي، وكأنّه حملني إلى أعلى بين ذراعيه...ثم لم يدم الأمر بضع ثواني حتى قال لي :
_افتح عينيك..
فتحتهما بصعوبة وببطء شديد...كنت خائفاً فعلا أن أجد نفسي في مكان مهجور أو ربما أعادني إلى ذلك الكهف...من يدري...ومن يأمن مكر الشياطين...
شعرت بضباب حول عيني كأنّني فقدت تركيزي أو أصابني الدوّار....وجدت نفسي في حي راقٍ...مباني عالية وفيلات فخمة والأضواء تملأ المكان...كنت أمام منزل بدا على أهله الثراء فقد كان يحتوى على حديقة كبيرة ومسبح...أطلقت زفيرا قويا وتنهدت...يبدو أنّك أمام صيد ثمين يا أيهم...هذه فرصتك فلربما يكون ابن شخص مرموق وله مكانة...
حتى قاطعني سوميا قائلا:
_لا تفكر كثيرا أيّها الإنسي...تقدم الآن وأرنا مهاراتك..
الآن...لا...لا...سأعود غدا...في هذا الليل، تريد أنْ أطرق بابهم...
_قلت لك تقدم وإلاّ حملتك عنوة...
_أأوف...ما هذا التسلّط...بدأت أشعر بأنّني خادمك ولست أنت ...
_هيا بسرعة...هذه فرصتك..
سرت متثاقلا نحو الباب حتى وصلت...كان الحارس يقف خلفه...

أشرت له بالاقتراب مني و قلت

_أريد مقابلة صاحب المنزل..

نظر إليّ وهو يتفحصني من الأعلى إلى الأسفل ثم قال:

_من أنت؟؟وماذا تريد؟؟

_ قل له أنني هنا بخصوص ابنه ولا تهتم...هو يعرفني...

أجابني بامتعاض

_ حسنا انتظر هنا حتى أخبره...

لم تدم بضع دقائق وعاد إليّ...فتح الباب ثم قال

_تفضل...إنّه ينتظرك بالداخل ...

سرت متردّدا وأنا أفكر...

كيف ستبدأ الموضوع يا أيهم ؟؟ وكيف ستشرح له الأمر؟ التفت يمنة ويسرة...سوميا أين أنت؟؟ لا تذهب أرجوك، وتتركني في هذا المأزق...

لقد كان الرجل بنتظرني...

خلت من انتظاره أنه متشوق لمعرفة ابنه، وبأنّه مشتاق إليه وخائف من مصيره...لكنه بدا هادئا ولا يوحي بأنّ له ابن مفقود...أيمكن أنْ يكون سوميا قد أخطأ في المنزل...لكنه عفريت، وقوي ويعرف كل شيء فكيف سيخطئ...المهم أنني بعد أن صافحته أشار إليّ بأن أتبعه إلى غرفة الجلوس...

أحسَسْتُ بأنّه يقطن وحيدا...هو وابنه المفقود فقط، فلا أحد غيره في هذا المنزل الكبير...

جلست على الأريكة وكان هو جالسا قبالتي.

ظلّ صامتا حتى أحضرت لي الخادمة القهوة التي طلبتها...أخرج من جيبه سيجار من النوع الكوبي الفخم وأشعله، ثم قال لي..

_من أين تعرف ابني؟

لقد ذهلت من سؤاله وابتلعت ريقي ولم أدري بما سأجيب حتى همس لي سوميا في أذني فقلت له:

_أنا معالج روحاني...وأنت تعرف أنني أمارس فن قراءة الأبراج وغيرها ولي تنبؤاتي، وأدرك بعض الأشياء قبل وقوعها...

ليلة البارحة وأثناء قراءتي للطالع، وقد كنت أختار كل مرة شخصا ما له مكانة، وأطّلع على أسراره... تبين لي بالصدفة حين اخترتك بأنّ ابنك قد وقع له مكروه واختطف...

فأجابني بهدوء

_أنا ابني اختطف منذ سنتين...لقد اختطفته امرأة لعينة أحبّها وتركني من أجلها ولم يعد يهمني أمره...

احمرّ وجهي، بل أصبح ملونا كقوس قزح، و بدأت أهمس في نفسي لسوميا كيف لم تعلم بذلك؟؟ ألست عفريتا؟ "...

حتى رن جرس الباب....

كنت أنظر إلى الباب بارتباك...من يا تراه يكون؟؟ ماذا فعلت بي يا سوميا؟؟ يبدو أنني في ورطة ولا يمكن الخروج منها...

أسرعت الخادمة لتفتح الباب...لقد كانت امرأة في العقد الثالث من عمرها...جميلة وهادئة وبدت عليها الطيبة...كانت المسكينة تبكي بحرقة...ما إنْ رآها حتى تقدم إليها غاضبا وكاد يضربها وهو يصيح

_ما الذي أتى بك إلى هنا؟؟ ألا يكفيك أنك سرقت ابني مني...هيا اخرجي...اخرجي...

لقد أدهشني فعلا، فكل ذلك الهدوء والرصانة زالت في لمح البصر بل أصبح كالوحش أمامها...

تسمّرت في مكاني ولم أدري ما الذي سأفعله ؟؟ ما هو دوري الآن وقد جاءت هذه المرأة لتنزع كل الخطة...يا لهذه المتاهة التي أوقعني فيها ذلك الشيطان...ثم ما الذي تخطط له يا سوميا؟؟

حتى ظهر أمامي...

هم طبعا لم يلاحظوا كلامي معه فهي المسكينة متطأطئة الرأس وهو يرفع يديه تارة وتارة ينزلها، كأنّه يريد ضربها ولا يستطيع فعل ذلك.

يصيح بصوته العالي...لم يدرك ما يفعله من شدة غضبه...

" لما دائما تفعل بي هذا يا سوميا ؟؟ تتعمد عدم إخباري بالحقيقة من البداية وتوقعني في مأزق وتختفي...ماذا سأفعله الآن حيال هذا العجوز الغاضب؟؟ "

حتى همس لي

_ اصمت الآن واقترب منه...سأخبرك ما ستقول له....

خاطبته بتلعثم

_ ألا ترى حاله...دعه حتى يهدأ قليلا...

_هيا تقدم بسرعة...

اقتربت منه واستسلمت لأمر هذا الشيطان اللعين، إلى أن،بدأت تتردد على مسامعي همسات اطلقها سوميا في أذني فقلت له:

_أرجوك يا سيدي الكريم أن تهدأ قليلا، ولا داعي للانفعال...فما حصل قد حصل وما علينا الآن إلاّ إصلاح ما أُفسد...

_كيف أهدأ يا شيخي الكريم، وهذه المرأة سلبتني وحيدي...ابني هو كل ما أملك...

بصراحة أعجبني نطقه لتلك الكلمة (يا شيخي الكريم) واستغربت منه تلفظها وهو في هذا الانفعال الشديد، ثم إنّه قبل قليلا كان ينظر إليّ بغرابة فكيف أصبحت شيخًا بالنسبة له بهذه السرعة...لكنني توقعت أن سوميا قد عبث برأسه الكبير ذاك، فارتحت واعتدلت في وقفتي و قلت له بصوت خشن ذي هيبة..

_لا تقلق، فابنك سيعود إليك وستعود السعادة تملأ قلبك...اهدأ فقط وتعال اجلس ...

ثم أشرت للمرأة بأن تتبعنا...

جلسنا سويا ثم قلت له:

_أنا أعلم أين يوجد ابنك...وسوف أحضره لك..

قاطعني وعاد إلى غضبه مرة أخرى وهو يشير إليها بيديه..

_إنّها هي...إنّها ما فعلت به كل ذلك...وتحتجزه في مكان ما كي تجبرني لتعود معه إلى هنا...إلى منزلي...إنّها تطمع في الثروة...أنا أعرف كل ألاعيبها ..

كان كلما اشتد كلامه، اشتدّ بكاءها وهي تهتز متطأطئة الرأس كأنّها تستحي مما فعلته أمامه..

لكني قطعت سيل غضبه حين اقتربت منه وهمست في أذنه قائلا

_أنا سأحضره لك الآن، ولا تقلق بشأن تلك المرأة...سيعود لك ابنك وسأصلح أمر علاقته بها حسب خبرتي...

أصدر همحمة حين سمع كلامي، وأشرقت أساريره وتغيرت ملامحه وخطابه..

_حسنا يا شيخي...أنا تحت طوعك، اطلب ما تريد..

_ دعني الآن أختلي بنفسي قليلا، لأقوم بعملي...

_حسنا...حسنا...تفضل إلى مكتبي...

سِرْتُ إلى مكتبه وأغْلقت على نفسي...بصراحة كانت هناك أريكة مريحة فاستلقيت عليها...فبعد كل هذا التوتر، أنهكني التّعَبْ...كنت أنظر إلى السقف فقد شدني منظر الزخارف الجبسية التي تزينه وأقول بصوت منخفض مخافة أن يسمعني فربما يكون خلف الباب يتَنصّتْ...

_سوميا...أين أنت؟؟ هيَّا أحضر الرجل...مهمتي انتهت وبدأت مهمتك.

كَرَرْتُ قولي عدة مرَّات حتى مَلَلْتْ...أغمضت عيني محاولا النوم إلى أن يأتي، فسمعته يقول

_افتح عينيك أيّها الإنسي وانظر...

أجبته ومازالت عيني مغمضتين

_أين كنت؟؟ هل أحضرت الرجل أم ضاع منك...

_افتح عينيك لتعرف...

نظرت فوجدته بجانبي وهو في حالة إغماء...
انتفضت من مكاني قائلا:
_يجب أنْ نوقظه فوالده ينتظر بالخارج...

اقتربت منه لأوقظه لكن سوميا منعني
_ اتركه الآن...اذهب وافتح الباب لأبيه بسرعة...هيا...
_لكن، ألا يجب أن نوقظه أولاً.
_قلت لك اتركه...ألا تفهم...
فتحت الباب فوجدت الرجل كما ظننت، يتنصت منحنيا برأسه...
استقام وشعر بالخجل حين باغتته...
_ادخل فأُبنك بانتظارك...
دفعني ودخل مسرعا وبدأ يحتضن ابنه ويقبّله إلى أن استفاق وهو يبكي ويردّد:
_سامحني يا أبي...لقد كنت مخطئا...
بصراحة أذهلني سوميا وقدراته، ما الذي صنعته به كي يعود مع أبيه بهذا الشكل...
قاطعت عناقهما وسحبت أباه إلى ركن من أركان المكتب وخاطبته هامسًا
_بِخُصوص تلك المرأة فلا تقلق بشأنها، أنا سأتكفل بها وسأبعدها عن ابنك مهما كلفني الأمر...
تَواصل حَديثنا بعد أنْ تغيرت ملامح وجهه فرحًا بعودته إليه، وفجأة صرخ ابنه بقوة وهو يهْتَزّ وكأنَّه مَمْسُوس.

المَمْسُوس

كان يهتزّ بقوة ويردد كلمات غير مفهومة...توقعت أنّ خطب ما سيحصل فلم أعد أندهش للمفاجآت...بدأت أعتاد على ما يفعله سوميا وصرت أثق به... بل من الجيد أن أترك الأمر له، والأرجح أنه يخطّط لأمر ما...

اقتربت منه وحاولت أن أتكلم معه لأفهم ما يجري...وضعت يدي على رأسه بقوة ثم بدأت الدعاء المختلط بالاستعانة بسوميا وبعض التعاويذ الأخرى التي علمني إيّاها...فنطق بصوت خشن ولم يكن صوته...أدركت أنّ جنيًّا يتكلم على لسانه...كنت أظن أنّ سوميا هو من تلبّسَه لكنه ظهر أمامي فجأة وقال لي..

_أظهر قوة التصرف كي لا تبدو ضعيف الشخصية أمام الرجل، فيفقد ثقته بقدراتك...عليك أن تكلّم هذا الجني بحزم، لا تخف إنّه من أتباعي، أنا من أمرته أن يفعل ذلك...ما عليك إلا أنْ تضربه وتصيح بقوة فسوف يخرج حين آمره...

لم أجبه فلا داعي للحديث معه...أصبحت متمرسا الآن، ولم أعد أهتم لتعليماته، بل بالعكس، عليّ تطوير نفسي و ابتكار الحيل و المكائد أنا أيضًا حتى أصبح ساحرًا ذا قيمة.

لقد أشَرْتُ للرجل بأنْ يحضر قارورة من الماء...أمر خادمته فأحضرتها بسرعة إليّ، حملتها وشربت منها قليلا و بدأت أنفث عليه وأقول

_اخرج أيّها اللعين...اخرج عدو الله..

تَحشْرجت الكلمات في حلْقه وبدا كأنّه يختنق قائلاً لي وقد احمرت عيناه..
_لن أخرج أيّها الإنسي...من أنت حتى تأمرني بالخروج ؟؟ أنا أقوى المردة....وسأمْلك هذا الجسد...
اختلطت كلماته بين النفخ و الضحك وبدأت تعابير وجهه تتغير...أحيانا يظهر بوجه ضاحك ويَسترْسل في ضحكٍ هستيري ولعابُه يتطَاير وهو يرَفرِف بيده، وأحيانا تحْمَرّ عَينَاه ويشْتَدّ غَضَبُه ويكَشّر كالوحْش ويُحاول مُهَاجَمتي...كلما حاول الاقتراب مني نفثت عليه من الماء حتى ينتفض ويتراجع ويطلق صيحاتِ من الألم...
كان الرجل ينظر إلى ابنه ويبكي بحرقة ثم يحَدّق إلى المرأة في غضب كأنّه يريد قتلها، هي الأخرى كانت جالسة تنظر إلى زوجها مصدومة ولا تعرف ما يحصل...
بصراحة، كنت أتصبب عرقا وتعبت من مقارعة هذا الجني اللعين....لماذا لم يأمره سوميا بالخروج إلى الآن و ينتهي الموضوع، لكنه زاد من عناده وتكشيره واهتزازه، انتابني الغضب وكدت أنْ أرمي القارورة من يدي وأغادر المكان.
لكن سوميا ظهر مرّة أخرى، كأنه أحسّ بأنني مللت من هذه المسرحية فقال لي:
_مازال الوقت مبكرا للخروج، دعه يضق بعضًا من الألم...أريد أن أحرق قلبه على ابنه حتى يستسلم لنا ولما نخطط، ويرضى بكل شروطنا...
اسأَلْه من قام بهذا العمل ولما ؟؟

أحسَسْت أنّ الأمور تشابكت عليّ، وبأنني لم أعد أفهم ما يرمي إليه هذا الشيطان اللعين...لكن سأنفذ أوامره ولنرى ما يحصل.
عدت إلى ما كنت أفعله، لكن هذه المرة كنت أشدّ حزما في التعامل معه...

وضعت يدي على رقبته وضغطت بقوة، وبدأت أنفث على وجهه بغضب إلى أنْ بدأ يصيح، ومع صيحاته المتتالية كنت أقول له
_من أرغمك على دخول هذا الجسد ولأيّ غرض؟؟ هل أنت من خدام السّحر؟؟ أخبرني وإلاّ أحرقتك بكلام الله وآياته...تكلم يا عدو الله.
شعرت أنّه يحاول التملُّص من خناقي له، يريد قول شيء ما فسحبت يدي من رقبته فقال لي

_ زوجته هي من فعلت له السحر، وأنا من خدامه...
_ولأي شيء فعلت ذلك؟؟ تكلّم يا عدو الله...
_لقد أرغمته على عشقها والزواج منها...أطعمته السحر، وهناك سحر مدفون في المقبرة أيضًا.

عند سماعها لكلامه صاحت باكية وهي تقول
_إنه يكذب، لقد تزوجنا عن حب ولا يمكنني فعل ذلك به...أقسم أنني لم أفعلها...بسببه تخاصمت مع أهلي وتزوجته دون رضاهم...
تجاهلت حججها وأقوالها ودفاعها عن نفسها، وواصلت حديثي معه..
_وأيْن هي المقبرة التي يوجد فيها السحر المدفون..
_إنها ليست بعيدة من هنا...إنّها...في...
حتى قاطعنا العجوز..

_أنا أعرفها...لطالما ضبطهما يلتقيان هناك...لا بد أنّها كانت تتعمّد مقابلته كي تفعل ما فعلت دون أنْ يكتشف أمرها...

ردت عليه وقد اختلط كلامها بالبكاء وهي تشهق..

_أرجوك لا تظلمني يا عمي...لقد كنت أقابله هناك...لأنه المكان الوحيد الذي نرتاح فيه و نستطيع الحديث دون أن يرانا أحد..

تقدم نحوها وهو يشير إليها بيده وهو يتوعدها

_اصمتي أيّتها اللعينة ولا تناديني بعمي مرة أخرى...لقد انكشف أمرك الآن ولن تسلمي من عقابي...

التفت إليّ، ثم واصل كلامه..

هيا يا شيخي، سنذهب الآن إلى المقبرة، سنأخذها معنا لترشدنا إلى مكان السحر..

حاولت أن أتدخل قائلا

_لا داعي لأخذها، أنا سأجده بنفسي..

_قلت لك، سنأخذها معنا...

_حسنا، كما تريد...

ركبنا السيارة واتجهنا صوب المقبرة... كان المكان مخيفا ومظلما...العجوز يحمل مصباح الإنارة ويجرّها أمامه ويصيح في وجهها بغضب:

_تكلمي أين وضعته...تكلمي وإلاّ دفنتك هنا...

بالنسبة إلي، كنت وكأنّي أتلقى الوحي من السماء، فقد أغمضت عيني وبدأت أتمتم، في حقيقة الأمر كنت أحدث سوميا في نفسي..."أين أنت، أخبرني أين هو، لا تحرجني أمام الرجل"

وحين وصلت إلى قبر كان منعزلا نوعا ما عن بقية القبور، بدأت يدي تهتز وحدها، يبدو أنّ سوميا يشير لي بأنّ السّحر مدفون هنا.
أشرت إلى الرجل بأنّي وجدته، لكي يناولني المعول، كي أبدأ الحفر.
وما إنْ هَمَمْتُ بذلك، حتى سمعت صوتا من الخلف يقول
_ماذا تفعلون هنا ؟؟

الشيخ عبد الرحمن

ذهلت عندما التفتت لأجده رجلا لا أعرفه، ظننت أنّها من ألاعيب سوميا لكني أحسَسْتُ بأنّ الأمر حقيقي....
شيخ ذو لحية بيضاء يشِعُّ من وجهه النور والإيمان، ربما هو حارس المقبرة، آه...لقد تذكّرت، الأكيد أنّه إمام أو مؤذن، فهناك مسجد قريب من هنا...اقترب مني وقال
_ما الذي تفعلونه هنا في هذا الوقت من الليل ؟؟ أأنتم لصوص المقابر أم ماذا؟

تلعثمت ولم أدري ما أقوله، وصرت أنظر إلى الرجل الذي معي وأشير له بأنْ يترك المرأة كي لا يفتضح أمرنا، لكنّه زاد الأمر تعقيدا حيث اقترب منه قائلا:
_ يا شيخ عبد الرحمن...نحن نستسمحك عذرا بأنّ تتركنا نحفر هنا في هذا القبر، لأنّنا علمنا أن هذا المرأة التي تراها أمامك، قد فعلت شيئا لولدي ودفنته هنا، والمعالج أيهم يحاول إخراجه، فدعنا نقوم بعملنا أرجوك...
نظر إليه بالاستغراب ثم قال له:
_وما أدراكم أنّ السّحر مدفون هنا !!
حاولت أن أوضّح له، محاولا إخفاء إرتباكي منه...
استرجعت أنفاسي ومسحت وجهي من العرق، ثم قاطعته بقولي

_يا شيخ عبد الرحمن...إنّ هذا الرجل الذي يقف أمامك، له ابن وحيد وقد تزوج من هذه المرأة منذ فترة، وتم الأمر في السّر ودون رضاه...ونحن نشك بأنّها دفنت له السّحر في هذا القبر، لذلك أتينا هنا لنخرجه...

التفت إليّ وقد عقد حاجبيه وهو يحدق في وجهي قائلا:

_ وكيف علمتم أنّها هي من فعلت ذلك...ما أدراكم؟

استغلّت المرأة الفرصة واندفعت إلى الشيخ، وهي تبكي وتحاول تقبيل يده

_ أرجوك يا شيخي...اقسم أنني لم أفعل ذلك...ثم كيف سأؤذي زوجي، وهو كل سندي...كيف ؟؟ كيف ؟؟

حاول الشيخ سحب يده منها..

_استغفر الله...استغفر الله...قفي يا ابنتي ولا تنحني ولا تتوسلي لمخلوق فهذا حرام...

نظر إليّ بغضب، ثم أردف قائلا:

_من الذي أخبركم بأنّ هذه الفتاة ساحرة...أنا أعرفها جيدا وأعرف والدها...رجل طيب...ومن عائلة شريفة وعريقة، ولا أظن أنّ ابنته قد تربّت على مثل هذه الأشياء الباطلة...يا سيد حمدي لا تتهور وترتكب فعل قد تندم عليه لاحقا...إنّ بعض الظنّ إثم...

ثم نظر إليّ بنظرة مخيفة، وكأنّه يقصدني وأكمل كلامه

_ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ...

لكنني حاولت أن أبيّن له، أنّه لا دخل لي ولكن السيّد حمدي سبقني قائلا:

_نحن لم نتّهم أحد...نحن ننفذ أمر الجني...

إتسعت عيناه باندهاش ثم قال:

_أيّ جني!!

_لقد قام المعالج أيهم برقية ابني، ونطق الجنيّ على لسانه، وأخبرنا أنّها دفنت السّحر هنا..

_ويحكم!! أتكذّبون امرأة طاهرة قد أقسمت لكم أنها لم تفعل شيء وتصدقون شيطانًا لعب بكم!!

حاولت أن أتدخل مرة أخرى، لكنّه منعني وأكمل مشاحنته مع الشيخ

_ يا شيخ عبد الرحمان...هذه المرأة دخلت بيننا فجأة، وأفسدت علاقتي بابني...

كنت أعرف أنها ليست من مقامه ولم أرتح لها منذ رأيتها أوّل مرة...حاولت عدة مرات أنْ اقنع ابني أنْ يتركها، لكنّه رفض ذلك...هذه المرأة يا شيخي أنا متأكد أنها فعلت ذلك.

نزعت المعول من يدي، وكل تلك الإهتزازات والأحاديث التي بداخلي التي كان يقوم بها سوميا اختفت...

كعادته يهرب حين تشتد الأزمة، لا بدّ أنّ نورهذا الشيخ آذاه، لذلك هو غير موجود...لا يهم، سأكمل هذا السجال لوحدي.
حاولت أن أدفع هذا النقاش، قلت للشيخ عبد الرحمن كي تهدأ الأجواء
_يا أيّها الشيخ الكريم...نحن لا نصدق أحدا، لا المرأة ولا الشيطان، دعنا نحفر فقط، ثم نرى إنْ كان الأمر صحيحا أم لا...
أشار لي سيد حمدي بعنف وهو يقول:
_أكمل الحفر يا أيهم ولا تهتم...دعنا نخرج هذا الشيء ونعود أدراجنا...

لكنّ الشيخ عبد الرحمن كان له رأي أخر، فقد اقترب مني وأخذ المعول من يدي وبدأ يحفر، ونحن ننظرإليه...
ساد السكون المكان...الكل ينتظر ما الذي سيحصل حتى توقف عن الحفرفجأة، ربما وجد شيئا...لقد انحنى وأكمل يزيل التراب بيده ثم اخرج شيئا ملفوفا في قطعة بلاستيكية...
فتحه وأخذ يتفحصه ثم قام ونفض عنه الغبار وقال موجها كلامه إليّ
_هذا السّحر دفن حديثا وهو ليس من فعل الإنس حسب إعتقادي، إنّه سحر من قبل الجن...به رموز وأرقام لا يدرك معانيه إلاّالشياطين...
حاولت أن أفهم، بل شدّني الفضول ونسيت نفسي فأنا رغم ذلك أحب اكتشاف الأشياء التي أجهلها، وتوّاق للمعرفة...اقتربت منه قائلا:
_كيف علمت يا شيخي ؟؟ أخبرنا...
لكنه تجاهل سؤالي واتجه نحو السيد حمدي وقال له
_هذا الرجل الذي أحضرته معك ويدعي أنه معالج، ما هوإلاّ ساحر لعين

ويريد التفرقة بينكم...أترك المرأة وشأنها ودع عنك الشكوك فهي بريئة...

لكنه غضب من كلامه...هو يكرهها حتى لو لم تفعل شيئا، فكيف به الآن وقد سنحت له الفرصة لينتقم منها

مُصِرّ على كلامه، مهما نصحه الشيخ..

_لقد تغيّر ابني كثيرا منذ أن تعرّف على هذه الفتاة...ما من شكّ أنها فعلت ذلك...

حاول أنْ يجُرّها معه مرة أخرى، لكنّ الشيخ منعه قائلا

_اتركها و خذ ساحرك هذا واذهب في حال سبيلك...بالنسبة إلى هذا الشيء فلا تخف، سأبطل هذا السّحر بإذن الله

لقد كنت خائفا أن يتمادى معي لذلك انسحبت ببطء إلى السيّارة حتى تبعني سيد حمدي وهو غاضب يزمجر، يتحدث مع نفسه، قلت له لاطمئنانه...

_لا تخف، سأتولى أمرها...لا تقلق...

فخاطبني الشيخ عبد الرحمن فجأة من نافذة السيارة

_وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ...

ارتعشت حين سمعت تلك الآيات العظيمة فقد هزّت أركان جسمي كله...سرت أحثه على المغادرة...

_انطلق بسرعة...لنغادر هذا المكان....

ضغط على دواسة السرعة والغبار يتصاعد خلف السيارة ولم يتوقف اهتزاز جسمي وارتعاشه حتى ابتعدنا عنه وغادرنا تلك المقبرة اللعينة ..

استمرّ السيد حمدي بسؤاله لي وهو مندهش من حالتي..

_ما بك يا أيهم...لا تقل لي أنك خائف من ذلك العجوز...

حاولت أنْ لا أظهر له خوفي وارتعادي من السبب الحقيقي كي لا يعرف أنّي ساحر فعلا قائلا

_لا...فقط أشعر بتوعك أحيانا، فأنا أعاني من الصرع...

_لا بأس، لم يبقى الكثير على وصولنا إلى المنزل وسترتاح هناك...وربما أطلب لك طبيبا....

_لا...لا...لا داعي للطبيب، لو سمحت أوصلني إلى منزلي...

_لكن ماذا عن ابني...هل ستتركه هكذا...

_ سأعود له غدا...وأتابع علاجه...

_لا يمكن...يجب أن تكمل ما بدأته الليلة...

أحسَسْتُ أن كلامه منطقي، ثم أنني يجب أن أظل على مكانتي في نظره... المعالج الناجح....فكيف أترك ابنه هكذا...سيغضب حينها وسيضيع عملي كله...لكن أين ذلك الوغد سوميا...لقد تبخر...لم يعد له أثر....

صرت أحدث نفسي وأنادي في داخلي"سوميا...سوميا" لا أثر له...

حتى قاطعني السيد حمدي...

_يبدو أنك أصبحت تتحدث وحدك حقا...لا بد أن أطلب لك الطبيب فعلا...

_لا...لا...لا تقلق...مجرد وعكة خفيفة، وستزول حين نصل إلى المنزل...

_حسنا...مثلما تريد...

توقفت سيارة أخيرا أمام المنزل...نزل مسرعا يتفقد ابنه أمّا بالنسبة لي فمازلت أشعر بالتعب وكنت أسير خلفه ببطء شديد...

دخلت إلى غرفة الجلوس لأرتاح قليلا، أمّا هو فذهب إلى المكتب ثم عاد مسرعا...

_أيهم...أيهم...ابني غير موجود في المكتب...أين ذهب ؟

بدأت أتمتم في غضب من كلامه "يا لهذه الليلة اللعينة...تبا لك يا سوميا، تركتني في هذا المأزق...ماذا سأفعل الآن؟؟ كيف سأجده؟؟"

وفجأة سمعنا أحدهم يدندن....

لقد خرج ابنه يغني في قمة السعادة وهو يلبس لباس الاستحمام...عانق والده الذي كان مندهشا من تصرّفه، وهو يقبّله قائلا

_اشتقت إليك يا أبي...

نظر إليّ وواصل حديثه مخاطبا والده...

_من هذا الرجل؟؟ أهو صديقه؟؟

تلعثم السيد حمدي فقد اختلطت عليه الأحاسيس، بين الفرح والارتباك وهو يقول

_إنّه...إنّه...فقط صديق...صديق لا غير..

اقترب مني وصافحني

_مرحبا أنا خالد...كنت أدرس في الخارج...في أمريكا وقدمت منذ يومين لأزور والدي...

اندهش السيد حمدي من كلامه، لأنّه عاد من أمريكا منذ أربع سنوات حيث كان يدرس هناك..."ماذا فعلت به يا سوميا...لقد غيّبت ذاكرة الرجل...لقد أرجعته إلى الوراء كليّا...لكن، لا بأس...فالأمر في صالح والده...على الأرجح أنّه نسي الفتاة، فهو لم يتعرف عليها إلاّ منذ عامين...وهذا ما يريده السيد حمدي بالضبط...أظن أن عليّ المغادرة الآن...لقد انتهى عملي..

لكنه جذبني إلى ركن كي لا يسمعنا ابنه...

_هناك أمر غريب يا سيد أيهم...هل فقد ابني ذاكرته أم ماذا؟؟

_لا...لا شيء من هذا القبيل...هو فقط مازال تحت تأثير الصدمة...غدا سيعود إلى حالته المعتادة...لقد تأخر الوقت الآن، عليّ العودة إلى المنزل فالأكيد أنّ ندى ابنتي تنتظرني...

لكنّه جذبني مرة أخرى...

_أحقا ما تقوله؟

_قلت لك إنّه بخير...وإنْ حصل أي مكروه لا سمح الله...اتصل بي...تصبح على خير...فأنا متعب للغاية...

ابتسم لي قائلا بعد أن اطمأنّ:

_حسنا، دعني أوصلك على الأقل...

_لا ترهق نفسك...ابقى مع ابنك...فالأكيد أنّك مشتاق للجلوس والحديث معه...

_حسنا كما تريد...

أخرج حزمة من المال من جيبه ووضعها في يدي، فادعيت الإحراج...
_لا تكلف نفسك يا سيدي...أنا لا أطلب المال...أنا أحتاج فقط الدعاء...
_خذها فقط، ليست بالكثير، فهذا أقل من واجبنا، وهو تعبك أيضًا...
هذه بطاقتي الشخصية إنْ احتجت أي شيء، اتصل بي ولا تتردد...

أومأت برأسي بالموافقة، ثم غادرت مسرعا، ابتعدت قليلا عن المنزل وأخرجت تلك الرزمة وقد انشرح صدري لرؤيتها، شممتها واحتضنتها ثم بدأت في عدّها فقاطعني صوت من الخلف...
التفت فلم أجد أحد
_لا تخف...أنا سوميا...
_اظهر نفسك...مابك...لقد أخفتني، خلته عفريت أخر.
_لا تعُدّ المال في منتصف الشارع، فلربما يسْرِقونك...
_لا تخف، فأنا مدربٌ جيّدا...أين اختفيت...دائماَ تتركني وحدي في المتاهة و تذهب...
_لقد أخافني ذلك الشيخ...
_ماذا...أخافك...وهل تخافون أنتم العفاريت...
_لا...سنتحدث لاحقا سأذهب...
_توقف...أوصلني إلى المنزل، على الأقل...
_حسنا...أغمض عينيك...

ماهي إلا خطفة، حتى وجدت نفسي على الأريكة في غرفة الجلوس .
_أخيرا عدنا...ما أجمل سرعة الوصول!!

ذهبت إلى مطبخ علّني أجد شيئا آكله فلقد كنت جائعا للغاية، فتحت الثلاجة فلم أجد سوى كيس من التفاح...أخذت واحدة وجلست أقشّرها، حتى ظهرت سيرانا أمامي فجأة بمظهرها القبيح فأفزعتني..
_قلت لك مرارا...حين تكوني في منزلي عليك أنْ تكون بشكل جميل أو بشكل زوجتي...ماذا لو أفاقت ندى من سريرها ورأتك هكذا....

_لا تخف، لا أسمح لها برؤيتي بهذا الشكل...هي لا تستطيع رؤيتي إلاّ بشكل أمها...إنّها ليست مثلك لتراني هكذا....
_قلت لك، لا تعيديها وكفى، أنا أيضًا لا أحب أن أراكي هكذا..
_هل أصبحت تخافني أنت أيضًا...أم أنّ ذلك الشيخ أربكك..
_ وكيف علمت بأمره؟
_ كنت معكم هناك....ومن جعلك تهتز برأيك...
_خلته سوميا من فعل ذلك..
_قلت لك، سوميا هو سيدنا، ولا يفعل مثل تلك الأشياء...
_ماذا تقصدين بتلك الأشياء!!!
_يعني أنّ سيدي سوميا لا يكلّف نفسه و يدخل أجساد البشر...محرّم عليه ذلك...هذا المهام هي خاصة بأتباعه فقط...أفهمت!!
_تقصدين...لا يجوز له، لأنه السّيد...
_..نعم...كما أنّ دخول الجسد مهمة خطرة وليست سهلة، وقد يفقد

الجني حياته إنْ أخطأ...

_آه...فهمت، بما أنّه سيدك فإنكم تضحّون من أجله، وتقومون بالأعمال الخطرة بدلا منه

_ربما...نحن ننفذ ولا نسأل...

مازلنا نتحدث حتى قاطعنا صوت وكأنّه ارتطام ضخم، جعلنا نهتز لسماعه...

كان الارتطام أشبه بصوت الرّعد عند نزول المطر الغزير...خلت أنّ السقف وقع علينا، اختفت سيرانا في لمح البصر...تركتني وحيدا وهربت هي الأخرى...لا أدري ما أفعل...فالصّوت مسموع والرؤية منعدمة...لا أرى شيئا...قلت ربما صراع بين العفاريت...لعل سوميا يصارع عفريت أخر، لكن...لا أظن، فالعفاريت بينهم عهود ومواثيق لا يخرقونها...

أنا أعلم أن الجن لا يخرقون العهود، ولكلّ عفريت حدوده الخاصة وضعها لهم ربهم إبليس كما يعتقدون...

نهضت من الكرسي ببطء، وبدأت أتفحص المكان...قلت أجرب مثل ما يفعلون في افلام الرعب الأمريكية حين ما يدخلون إلى منزل مهجور فبدأت أنادي مثلما يفعلون

_هل هناك أحد؟؟ هل هذا أنت يا سوميا؟؟ أظهر نفسك، فأنا لا أحب هذا المزاح الثقيل.

فجأة شعرت باهتزاز عنيف، وكأنّ أحدهم يجرّني بقوة...أغمضت عيني من الخوف....

لقد تذكّرت ربي حينها ولم يعد هناك وجود لتلك التوسلات الشيطانية في قلبي، فالأمر الآن أصبح أقوى من قدرات العفاريت، ذلك هو الإيمان الفطري الذي زرعه الله في قلوب البشر لكن عديمي الإحْسَاسْ مثلي لا يستشعرونه إلاّ عند الخطر والمأزق...

دعوت الله في سرّي أنْ ينقذني من هذا الشيء الذي اختطفني، توقف الاهتزاز وتوقف معه ذلك الصوت العنيف....

لم أستطع فتح عيني، كنت خائفاً وأرتعش، فلو كان سوميا لأخبرني قبل أن يفعل ذلك، لكن...هذا الشيء مختلف، إنّه مثل مارد طيار طار بي ولا أعلم إلى أين؟؟ حتى سمعت صوتا كأنّ شخصا أمامي يقول لي _افتح عينيك أيّها الإنسي، ما بك تهتزّ؟ لا يجب أنْ تخاف، أنت صرت من أتباعنا...

فتحت عيني ببطء وأنا أتنفس بقوة كي يزول الارتعاش من جسدي...

نظرت فإذا به مخلوق غريب ذو قرنين صغيرين في رأسه وعيناه محمرّتان وزائغتان وله شعرات في لحيته كذكر الماعز...

بدا منظره مخيفا لأنه غريب عني لم أعتد على شكله ولم أره من قبل....

كان يجلس على كرسيّ كبير وحوله النيران وهي تشتعل...تحيطه به مخلوقات غريبة تشبه في شكلها سيرانا، تلك الشيطانة اللعينة التي تركتني وحيدا وهربت...

لم أستطع قول شيء، كنت التفت وأنظر من حولي، فشكل المكان غريب جدا، أأكون في عالم الشياطين؟!! حتى خاطبني المخلوق ذو القرنين

_لا تخف أيّها الإنسي...أنت الآن في عرش سوميا...

قاطعته بتلعثم

_هل أنت سوميا؟؟ لما تغيرت إلى هذا الشكل؟؟ لم أعرفك يا رجل...أقصد أيّها العفريت...

أطلق صيحات من الضحك الهستيري، اهتز لها المكان ثم قال

_ستعتاد على شكلي هذا، لأنك ستزورنا في مجلسي دائماً...

_لماذا أحضرتني إلى هنا؟؟ لما لم تأتي أنت إلى منزلي كالمعتاد؟

_ لم أستطع، فذلك الشيخ أصابني بحروق وكدت أموت...

لقد كنت مصابا حين وجدتك تعد النقود، لذلك لم أستطع إظهار نفسي لك... أحضرتك إلى هنا لأنني جريح، مازلت لا أستطيع الظهور حتى أتعافى....

_يعني أنك أحضرتني إلى مجلسك لأنك لا تستطيع الحضور بسبب إصابتك...

_أجل أيّها الإنسي..

_وكيف أصبت!!!...ولماذا هربت من الشيخ وتركتني!!!

_تلك أمور لا داعي لأنْ تعرفها...

_لا يا سوميا...أريد أن أعرف، كي أستطيع مجابهة ذلك الشيخ إنْ ظهر لي مرة أخرى..

_ سأكلفك بمهمة لا يقوى عليها إلاّ إنسي مثلك...فقد أرسلت كل أتباعي ومردتي ولم يستطيعوا فعل شيء

_ألهذه الدرجة هو قوي ذلك الشيخ!!

_هو ليس قويا وإنّما ضعيف مثل باقي الإنس، ولكن تراتيله وسحره أقوى منّا فلا نقوى عليه...

_أتقصد القرآن!!

_ذلك الشيء الذي يسمونه القرآن...كم أكره سماعه...إنّه يؤذيني....لقد أحرق أغلب أتباعي وقتل العديد منهم...أريد أنْ أنتقم من ذلك الشيخ وأنت ستقوم بالمهمة...

_ولكن كيف...أنتم الأقوياء، ولم تستطيعون السيطرة عليه بوسوستكم وسحركم فكيف أقوى عليه أنا...

_اسمعني أيّها الإنسي، سأشرح لك الأمر حتى تفهم، وحتى تستطيع إنجاز مهمّتك بنجاح...إنّه شيخ قوي محصن بتراتيله وأذكاره...لقد أرسلت له أتباعي ليقتلوه فلم يستطيعوا رؤيته لأنه كان محصنا، حُجِبُوا عن رؤيته فقتل منهم وفرّى منهم...إنّه قوي...لا أعلم كيف...ولكن ذلك القرآن له تأثير قوي علينا...كما أنّه كان ساحرا من قبل، ويعلم خبايا عالمنا...

_قلت أنّه كان ساحرا!! لذلك علم بذلك السحر بأنّه من فعلكم... لكن لماذا لم تقتلوه من البداية؟؟ وقد اكتشف أسراركم...

_لم نستطع ذلك...حاولنا طيلة سنوات ولكنه كان محصنا جيدا فتركناه حتى ظهر لنا مجددا...

_أظن أنّه أصبح يحاربكم ويحارب سحركم منذ أنْ تاب، أقصد منذ أنْ

تمرّد عليكم...
_نعم...نحن في حرب معه وتركناه في حال سبيله ولكنه عاد مجددا..
_حسنا ماهي مهمتي أنا الآن؟؟

_مهمتك أن تكسر تلك التحصينات التي يتقوى بها علينا كي نستطيع الفتك به...
_ولكن كيف سأفعل ذلك!!!

_لديك خياران، إمّا أنْ تتقرّب منه أكثر وتصادقه وتلهيه بشتى الطرق وتلهيه عن عباداته...فالصحبة السيئة قد تجرفه، وإمّا أن،تضع له شيئا في طعامه وتختار الوقت المناسب لذلك..
شعرت أنّ نوبة من الضّحك ستجتاحني مثل الإعصار، لكنّي مسَكت نفسي فخفت من ردة فعله وقلت له
_أنتم بكل أتباعكم ومردتكم ولم تستطيعوا إضعافه، فكيف أستطيع أنا إطعامه و تلهيته مثلما قلت...
_افهم جيدا أيّها الإنسي...
قلت لك، أنّه محصّن...نحن لا نستطيع الاقتراب منه، لم يترك لنا المجال لإضعافه، حاولنا إطعامه في المنام لكن دون جدوى، كل الطرق لم تنفع معه...الآن أنت السبيل الوحيد...هيا أرنا ذكاءك ومهاراتك...
ثم التفت إلى أحدهم قائلا:

_هيا أيّها المارد، أعده إلى منزله...
كنت سأقول له شيئا لكنه اختطفني بعنف مرة أخرى، ووجدت نفسي أمام المنزل...

"ما هذاالمأزق الذي وقعت فيه كنت أظنّ أن في عالم السحر راحة وسلطة ومكانة لكنه عالم التعب والمشقة "
وأنا أفكر في حل للمعضلة سمعت طرقا بالباب، ذهبت مسرعا لأفتح فربما السيد حمدي قد عاد مرة أخرى.
فتحت الباب فإذا بالشيخ عبد الرحمن يقف أمامي.
ظللت أنظر إليه لبرهة، لم أعرف ما الذي سأقوله له...ثم ما الذي جاء به إلى هنا...
حاولت أن أزيل ملامح الإرتباك من وجهي قائلا:
_مرحبا يا شيخ عبد الرحمن... كيف حالك؟؟ تفضل...تفضل...البيت بيتك...
ردّ عليّ بتهجّم
_لم آتي إلى الدخول، ولا إلى استضافتك...
جئت لأقول لك كلاما يجب أن تفهمه جيدا...
_ يا شيخي الكريم، حتى وإنْ كنت لا تطيقني وتعتبرني ساحرا أو حتى شيطانا...فإنّه ليس من باب الأخلاق أنْ تظلّ واقفا في الباب...
دعنا ندخل وبعدها قل ما تريد...
عقد حاجبيه ثم نظر إليّ نظرة تدعو إلى الرّيبة قائلا

_حسنا، سأدخل، ولكني لا أريد إطالة الحديث معك...
_مثلما تريد يا شيخي.
دخلنا سويا وأشرت له أن ينتظرني في غرفة الجلوس، ثم ذهبت إلى المطبخ...
كانت هذه فرصتي ويجب أنْ أغتنمها، لابدّ أن أطعمه شئيا يفقده كل قوته وينسيه حتى نفسه...
فتحت الثلاجة فوجدت قارورة من عصير، ملأت كأسين منها، ثم أخذت قليلا من السّكر وقربته من فمي، وبدأت أتفل وأقرأ عليه تعاويذي السحرية، ثم وضعته في العصير وحركته جيدا...
عدت أحملهما وأنا أبتسم إليه قائلا:
_وددت ياشيخ عبد الرحمن أنْ تكون الاستضافة أفضل من هذا العصير، لكنّك فاجأتني صراحة، ولم أكن مستعدّ لزيارتك..
جلست بجواره وتعمّدت أن أضع الكأس المسموم قِبَالته، حملت كأسي وبادلته الابتسامة كي يطمئن لي ويشرب ولكنه قال لي:
_إن كنت تظن أنك تستطيع تسميمي، فأنت مخطئ يا هذا...
لقد شرقت وكدت أختنق من العصير وظللت أسعل حتى كدت أموت أمامه لكنّه استمرّ في الحديث ببرود قائلا:
_اسمعني جيدا أيّها الخبيث...أنا أعلم كل ألاعيبكم القذرة أنت وشياطينك...لذلك جئت أحذرك، إياكم وأذية تلك الفتاة...
بعد أن هدأ سعالي وتنفست قليلا أجبته
_يا شيخي...ما هذا الحقد الذي يملأ قلبك تجاهي!! فأنا والله لا أفكر في

أذية أحد...أنا فقط معالج روحاني...أساعد الناس وإن كنت تشك في تسميمي لك فسأشربه أمامك...

حملت الكأس وشربته دفعة واحدة....

نظر إليّ ثم قال:

_أنا عن نفسي لست خائفا منكم، فقد فوّضت أمري لله منذ سنوات وتبت إليه وتوكلت عليه، وإنما خوفي على تلك المسكينة التي فرقتم بينها وبين زوجها، ما ذنبها؟؟

_والله يا شيخ لم نفعل لها شيئا، رغم ما فعلت...

صدقني لقد أخبرت السيد حمدي أنْ يتركها وشأنها بالرغم إلحَاحِه بالانتقام منها، لكنني قلت له يكفيك أنّك استرجعت ابنك فاتركها وشأنها...

_المهم أنني حذرتك، إيّاك والمساس بها...سأذهب الآن..

_لا تقلق يا شيخي...حتى وإنْ فكّر بأذيتها فسأردعه، اطمئن فقط..

أوصلته إلى الباب وحين تأكدت بأنّه ابتعد قليلا على المنزل، عدت مسرعا إلى الحمام، بدأت اتقيّأ وأنا أسبّ وألعن و كنت اسمع قهقهة خلفي لكنني لم أعرها أي انتباه حتى تقيأت كل ما بأحشائي...

غسلت وجهي واستدرت لأجد سيرانا قبالتي وهي تحدق بي...

_ما بك تنظرين لي أيّتها اللعينة، هل استمتعت بالمنظر؟؟ لما لم تظهري منذ برهة أم كنت خائفة...

_أضحكني تصرفك أيّها الغبي...

_فعلا، أنا غبي منذ أن فكرت دخول عالمكم القذر...

_ أنت غبي لأنك فكرت بتسميمه...ألم تكن تعلم أنّه كان ساحرا ويعرف كل ألاعيبك...كم أنت غبي حقا!! تريد إطعامه في بيتك...

_كنت أعتقد أنّه ارتاح لي وأنّه غير خائف، وسيشرب دون تردد لكنه فاجأني بحرصه الشديد...

_كيف لا يحذر وهو يعرف أنك ساحر...

_دعيني وشأني الآن...أشعر أن معدتي بدأت تؤلمني...

_اقترب لأنظر...لا تخف، إن كان هناك شيء سأزيله...

كانت أوّل مرة التي أرى فيها تلك الشيطانة بوضوح، منظرها عن قرب مفزع للغاية ورائحتها كريهة، لم أقوى على تحمّلها، لقد وضعت يديها على بطني حتى اختفت بالداخل...

كنت أشعر بيدها تتحرك في أحشائي إلى أنْ أخرجتها وقالت..

_لابأس...لا تخف...لا يوجد شيء...من حسن حظك أنّك تقيأت كل شيء فالسّحر المأكول يلزمه بعض الوقت كي يعطي مفعوله ويتحول إلى عالمنا...

أجبتها وقد أصابتني الدهشة..

_وهل يتحول من أحشائي إلى عالمكم أيضًا..

_نعم، فالسّحر المأكول لا يظلّ في معدتك طويلا بل يحوله خادم السّحر إلى عالمه لكي يتغذى منه و يقويه..

_ ممم ...لذلك لا يظهر في تصوير الأشعة و الرنين المغناطيسي...يكون الشخص مريضا ولكن الأطباء لا يجدون شيئا...يا لهذا العالم الغامض!!

_طبعا...ليس من السّهل إخراجه...بل لا تستطيع أي أداة صنعها الإنسان سواء إن كانت حديثة أو قديمة أن تكشفه...

_أظن أن هناك شيئا وحيدا يستطيع كشفه وإخراجه، لكن ليس من صنع الانسان..

تعجبت من قولي وقالت

_ ما هو؟؟

قلت لها

_إنه القرآن...

إنتفضت عند سماعي كلامي وهي تقول

_اسمعني جيدا، أنا أحذرك، إيّاك أنْ تقترب من ذاك الشيء...أفهمت...

_ما بك انتفضت...هل أفزعك اسمه؟؟

_أنا لا أخاف شيئا...أنا فقط أكره ذكره...

_لا تقلقي مازلت على عهدي معكم...سوف أذهب الآن...

_إلى أين ؟؟؟

_ سأحاول أن أتقرب من ذلك الشيخ، علّي إيقاعه في شباكي...لقد صار عدوي الآن، ويجب أن أنتقم لنفسي...

خرجت من المنزل وعقلي تملأه الضوضاء من جرّاء التفكير، فكيف سأوقع بذلك الشيخ اللعين؟؟ وكيف سأتغلب عليه؟؟ وهو يملك درعا قويا من الأذكار والقرآن...

تذكرت السيد حمدي...بحثت جيدا في طيات ثيابي لأجد تلك البطاقة التي أعطاني إيّاها، علّي أجد رقم هاتفه فلم أعد أرغب بمقابلته في المنزل، لأنّه يذكرني بتلك الليلة المشؤومة، بل يذكرني بكل

ما هو سيء حصل لي وأنا لا أريد أنْ تتكرر معي مرة أخرى. أخيرا وجدتها ووجدت رقم هاتفه مدون عليه، اتصلت به وظللت أنتظره حتى يردَ...

أعدت الاتصال مرات لكنه لم يجب...هذا حال الأثرياء من رجال الأعمال لا يمكنك مقابلته إلا بموعد.

ظللت أتمشى حتى وجدت مكانا هادئا، جلست أحدث نفسي وقلت لما لا أستدعي سوميا، فالمكان هنا منعزل ولن يراني أحد وأنا اتحدّث معه...

قرّبت الخاتم من فمي وتلوت تعاويذي المعتادة حتى ظهر أمامي فجأة

_ما خطبك أيّها الإنسي...هل فشلت في الإيقاع بذلك الشيخ؟؟

_في الحقيقة، الأمر ليس سهلا كما ظننت، يجب أن نتعاون يا سوميا حتى نستطيع الوصول إليه...إنّه حذر جدا و متطلع على أمورنا....

_أخبرتك من البداية أنه ليس بالأمر السّهل...عليك أن تحاول كسب وده أولا وتتقرّب منه حتى يرتاح إليك ثم افعل ما شئت...

_ كيف...وهو يكرهني منذ أن رأني أول مرة ولا يطيق حتى الحديث معي...اليوم جاء لزيارتي في المنزل متهجما يرمقني بنظرات الكره....

قاطعني سوميا مستهزئا..

_وأفسدت انت الأمر بغبائك وحاولت أن تطعمه...يالحماقتك!!

_ إنّها فرصة وقررت استغلالها...ماذا تريدني أن افعل غير ذلك ؟؟

_ بفعلك هذا، صعّبت عليك الأمور، أصبح الآن أكثر حذرا من قبل وربما لن يظل مكتوف الأيدي حتى تقوم أنت بمهاجمته...هو الآن ينتظرخطأ منك لينقضّ عليك...

_ماذا تقصد؟؟ سيقتلني مثلا!!

_ربما يفعلها...من يدري...

_لا...لا...لا أظنه يفعل ذلك فهو يبدو رجل مسالم وهادئ...

_لا تنسى أيّها الإنسي بأنّ عقيدته تأمره بقتل كل ساحر...

دبّ الخوف في أوصالي وارتعشت من كلام سوميا...

"تبا لك أيّها اللّعين...استدعيتك حتى ترشدني وتعينني فملأت قلبي رعبا

صدق تبارك اسمه ذو الجلال والاكرام بقوله تعالى إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

صدقا...إنّهم عدو لكل من له علاقة بالإنس حتى وإن كنت من أتباعهم

فستظل عدوهم مهما حاولت التقرب منهم...

قطع تفكيري رنين الهاتف...

_ألووو...

_ ألووو...مرحبا، معك سكرتيرة السيد حمدي...قبل قليل اتصلت به على رقمه الخاص وكان مشغولا في اجتماع...انتظرني قليلا حتى أحوّل المكالمة إليه الآن...من المتصل حتى أخبره؟؟

_قولي له المعالج أيهم يريدك في موضوع هام...

مرت لحظات حتى أجابني السيد حمدي

_مرحبا بالسيد أيهم...حقا أنت رجل طيب...أتعلم أنني كنت سأتصل بك وأشكرك...ثم إنّني أريدك في أمر هام...

قاطعته قائلا:

_وأنا أيضا أريدك في موضوع هام...
_حسنا...أخبرني أين أنت الآن كي آتي إليك؟؟ لنذهب إلى أحد المطاعم...نتناول الطعام ونتحدث...ما رأيك؟؟
_حسنا...لا بأس...
نظرت حولي عليّ أجد إشارة تدل على مكاني لأخبره بها فلم أجد شيئا تذكرت بأنني على شاطئ البحر...لقد أنساني كلام سوميا كل شيء فقلت له
_ أنا على الشاطئ...أنتظرك ...
_حسنا...حسنا...سآتي إليك...
لم تمرّ إلا تقريبا ربع ساعة حتى وصل...
كان على متن سيارة فخمة تجلب الأنظار...لم يكلف نفسه بالنزول بل أشار لي السائق بيده لآتي إليه...
ذهبت فأنزل غطاء النافذة وقال:
_هيا اصعد...
فتحت الباب لأجد معه رجلا آخر يرتدي بدلة سوداء ويلبس نظارات باهضة الثمن وهو يرمقني بنظرات التعالي...جلست بجانب السيد حمدي الذي بادرني بالحديث فور جلوسي قائلا:
_أعرّفك يا أيهم بالسيد مأمون...نائب بالبرلمان...ورجل أعمال معروف...يمكنك أنْ تقول أنّه زميل وصديق...ومنافس أيضا...
تعالت ضحكاته المستفزة فقاطعته قائلا:
_ أنا أعرفه...
دبّ الصمت في كليهما باندهاش ثم حاول التدارك قائلا

_ بالتأكيد ستعرفه فهو مشهور وله لقاءات مع الاعلام...

فحاولت أن أرد على استهزاءه وتكبّره قائلا:

_كيف حال السيدة حنان يا...سيد مأمون...

لقد تغير شكل وجهه ونزع النظارة وهاجمني قائلا...

_ما الذي تقوله؟؟ ماهذا يا سيد حمدي!! جئت بي لتقابلني بهذا الرجل ليستهزئ بي...

بدأ السيد حمدي يهدأ بيننا وهو يبتسم إليه ثم همس لي

_ما بك يا أيهم...ماذا فعلت؟؟ إنّه رجل مرموق ولا يصح أن تستهزأ به...ثم كيف عرفت بأمر عشيقته؟؟

حاولت أنْ أصلح ماقمت به... ففي نهاية هما يلزمانني فقلت له:

_يا سيد مأمون...ربما لم يخبرك السيد حمدي بأنّني روحاني وأقرأ الأبراج وأنت بصفتك شخص مرموق ومهم فلا بأس أن أكون مطلعا على ماضيك ومستقبلك...

ابتسم السيد حمدي وقطع كلامنا

_ها قد وصلنا لنكمل حديثنا بالداخل فأنا جائع ولا يحلو لي الحديث سوى حول الطعام...

نزلنا من السيارة واتجهنا صوب المطعم ونحن نتبادل الضحكات بعد أنْ هدأت النفوس وزال التوتّر...حتى ظهر أمامي سوميا فجأة...

تجاهلت وجوده ولم أكترث لما يقوله، لقد كان المطعم فارغا...يبدو أنّ السيد حمدي قد حجز لنا المطعم بأكمله خصيصا لهذه المقابلة، ربما هناك مسؤولية كبيرة ستكون على عاتقي...

رحب بنا مدير المطعم بترحيب خاص، الطاولة كانت مجهزة قبل وصولنا والأمر معد مسبقا...كلهم كانوا يعرفونه ويعرفون السيد مأمون أيضا، هم على الأرجح من الزبائن الأوفياء أو ربما المطعم قد يكون على ملكية أحدهم...كانت الطاولة مليئة بكل أصناف الطعام...هناك أصناف أعرفها وأخرى لم أرها من قبل، بل لم أضق طعمها أصلا...حاولت أن آكل بالفرشاة والسكين مثلهم لكنني لم افلح فتركتهما جانبا و بدأت بسم الله بيدي حتى تسبب ذلك في تعالي ضحكاتهم السخيفة حيث قال لي السيد حمدي..

_على مهلك يا أيهم فالحديث بيننا سيطول والأكل لن يهرب..

_بصراحة أنا أكره الرسميات...أفضّل أن أكون على طبيعتي لذلك سآكل بيدي ففيهما بركة وصحة للنفس والجسم كما أن يداي نظيفتان وليست متسخة لآكل بالفرشاة والسكين...

أحسّ السيّد حمدي بأنّي انزعجت من مزاحه فحاول تغيير الموضوع كي لا ينقلب الحوار مرّة أخرى قائلا...

_لقد دعوناك لهذه المأدبة لأمر جليّ ونريد منك المساعدة...

مع تواصل حديثه كنت أنظر لسوميا وهو قادم نحونا...جلس بجانبي فقد كان الكرسي شاغرا ثم بدأ يشاركنا الطعام...

كانت تلك أول مرّة أراه فيها يأكل...لم أكن أعلم أن الشياطين تأكل مثلنا....

خاطبني قائلا حين رأى دهشتي...

_ما خطبك أيّها الإنسي...لما الإندهاش...نحن نأكل مثلما تأكلون...ونتناسل أيضا ونشاركم في كل شيء، ثم كيف تريدني أنْ أُفلت هذه المأدبة الفخمة...حاول أنْ لا تطيل النظر إليّ فتجلب الإنتباه...سأظل معك هنا وسأخبرك بكل أسرار هذا الذي يدعى مأمون...

كان السّيد حمدي ينظر إليّ مسترسلا في حديثه حتى قاطعته..

_ لا داعي لإخباري فأنا أعلم طلبكما مسبقا...

امتزجت نظرات التعجب في ملامح كليهما وتوقفا عن الأكل...نظر إليّ السيد مأمون بعد أن نزع نظارته ثم قال

_وكيف عرفت!!!

_كما قلت لك أنا عالم روحاني ولي علاقة بالأبراج ولي اطلاع على المستقبل...

_إذا...أخبرنا لما استدعيناك ؟؟؟

_حسنا....دعوني لحظة مع سكينتي و سأخبركم بما ترمون إليه وسأساعدكم في حلّه...

_حسنا يا سيد أيهم...لديك متسع من الوقت فنحن لسنا في عجلة من أمرنا...

طيلة فترة صمتهم وأنا في تركيز تام...أستمتع بتناول الطعام، لقد كان لذيذا ومغري...كما أنّني كنت لا أرغب بسماع ضحكاتهم السخيفة بين الحين والآخر لذلك طلبت منهما الصمت...ينظران إليّ بدهشة وينتظران ما سأقوله..

_اسمع أيّها الإنسي...إنّه يريد منك مساعدته في كسب الإنتخابات البلدية ليفوز بالرئاسة، لذلك طلب من السيد حمدي مقابلتك...

نظرت إليه قائلا:

_ وهل ستستطيع مساعدته؟؟

_ ما رأيك أنت...

_أنا عن نفسي...لا أرغب في مساعدة هذا المتغطرس لكن، بما أنّني قد أحتاجه فلا بأس بذلك...لكن كيف ستساعده يا سوميا؟؟

_لا تقلق بهذا الشأن، فنحن الشياطين أصبحنا نتحكم حتى في قرارات الانسان وأحكامه...

أجبته مازحا

_هل ستدعوا الشياطين لينتخبوا السيد مأمون أم ستستدعي الأموات...

_ ماعليك سوى أن تخبره بأنّك ستحلُّ الأمر...

أغمضت عيناي وأمسكت رأسي وبدأت أتمتم وأتمايل يمنة ويسرة وكأنّني في مجلس طربي، طبعا لأظهر لهم أنني أقوم بعملي على أكمل وجه وبأنّني أخاطب العالم الأخر، ثم رفعت رأسي قائلا:

_اسمع يا سيد مأمون...طلبك سينفذ بإذن الله وسأحقق لك رغبتك...

فتح مأمون فاه وأصيب بالدّهشة ولم يستطع قول شيء لكن السيد حمدي حاول التدخّل قائلا:

_ إن تم الأمر حقا سأستأجر لك مكتبا خاصا بك وسيأتيك الزبائن من

معارفي من كبار رجال الأعمال...أنت مميز وتستحق...

نظرت إليه وهززت برأسي قائلا:

_ ما الذي ستجنيه أنت من فوز السيد مأمون برئاسة البلدية...

قاطعني بضحكاته المتعالية وهو يقولك:

_ الكثير...الكثير يا أيهم...فالأمر سيصبح أكثر سهولة من قبل، في تمرير مشاريعنا وأعمالنا الغير مشروعة...

_مم فهمت...

قطع السيد مأمون حديثنا وكأنّه لا يريد أن يفصح عن بعض الأمور قائلا:

_أما بالنسبة لي، فإن فزت بالانتخابات فستكون مكافأتك قيمة للغاية وسأتركها لك مفاجأة...

أجبته مازحا

_لكنها لن تظل كذلك لأنّي سأعرفها...

تعالت ضحكاته وهو يقول:

_لا...أرجوك يا سيد أيهم...لا تفسد الأمر...

عادت المياه إلى مجاريها بيننا وامتزج الحديث بين ماهو سياسي وماهو غيبي و حاولا أن يستدرجاني مرارا لمعرفة بعض الأمور عني لكنني كنت دائما ما أتملّص من الرّد ولا أجيب حتى قاطعنا صوت من خلف، نظرت فإذا به الشيخ عبد الرحمن ومعه رجل آخر...

ما الذي أتى به إلى هنا...أيتعمد ملاحقتي أم ماذا؟؟

أخفضت رأسي...لا أريد النظر إلى وجهه لكيلا يراني، أصبحت أتحاشى الصدام معه...

أشاهد فقط دون أنْ أتدخل...اقترب من السّيد مأمون وقال له...

_مرحبا بالسّيد مأمون...

إلتفت إليه الأخير قائلا:

_مرحبا...أأعرفك !!!

_لا أظن أنك تعرفني وإنّما على الأرجح أنك تتذكر وجه الرجل الذي معي جيدا...

تفحص السّيد مأمون وجه الرجل ثم قال بعد أنْ أومأ برأسه نافيا

_لا...لا أعرفه.

_حسنا مادمت قد فقدت ذاكرتك لرؤيته...فلابأس، سوف أذكرك...

احمر وجهه ورد عليه بغضب

_ما هذا الذي تقوله...أجئت تستهزأ بي أم ماذا!!

هنا تدخل السيد حمدي ليهدأ الوضع قائلا..

_يا شيخ عبد الرحمن....دعنا من الكلام الذي لا جدوى منه...ادخل في صلب الموضوع مباشرة و اخرج ما في جعبتك وإنْ كنت تريد المساعدة فلا أظنّ أنّ السّيد مأمون سيبخل عليك بذلك...

_ جئت فقط لأقول له بأنْ يعطي للرجل حقه ولا داعي لظلم الناس فالله لا يحب الظالمين وكل ظالم عقابه شديد عند ربه...

قاطعه السيد حمدي مرة أخرى

_أرجوك يا شيخي الكريم أخبرنا ولا داعي لهذه المقدمات...

أكمل الشيخ حديثه...

_هذا الرجل يشتغل عند السّيد مأمون في مصنعه منذ سنوات وطيلة هذه الفترة كان يضع كل أمواله في البنك، يحلم المسكين في بعث مشروعه الخاص وكان يطمح ويخطط للأمر منذ سنين، فأوهمه هذا الذي يسمى مأمونا وهو لا يمتّ للأمانة بصلة، بأنه سينشأ مصنع آخر وأنّه بإمكانه أنْ يصبح شريكه، استغل جهله و جعله يمضي على أوراق تسليم البضائع كلها باسمه وهو الآن مكلف بدفع كل متخلد بذمة المصنع لدى البنك ومهدد بدخوله السجن إنْ لم يدفع....فكيف بهذا الرجل المسكين أنْ يتحمل كل التكاليف وهو بالكاد يوفر حاجياته وحاجيات عائلته...

شعر مأمون بالارتباك حين سمع كلام الشيخ فقال متلعثما...

_أنا...أنا...لا أعرف هذا الرجل ولا أعرف عن ماذا تتحدث و ليس له معي أي شيء....

انقض الرجل محاولا امساك السيد مأمون من رقبته وهو يهدده ويصيح...

_ سأقتلك يا ظالم...أصبحت الآن لا تعرفني وبالأمس كنت تعدني بأنني سأصبح المسؤول وأننا سنصبح شركاء..

حاول مأمون دفع الرجل عنه لكنه لم يستطع حتى جاء الحراس فأخرجوه وهو يصيح بأعلى صوته....

"حسبي الله ونعم الوكيل....حسبي الله ونعم الوكيل...سأنتقم منك يا ظالم"...

ظل الشيخ ينظر إلى سيد مأمون برهة ثم قال له

_إن كنت تظن أنّك ستفلت بعقابك فانت واهم...

رد عليه مأمون وهو يحاول إعادة ربطة عنقه قائلا

_ليس لكم عندي شيء..فافعلوا ما شئتم...

خرج الشيخ عبد الرحمن بعد أن أمره صاحب المطعم بأن يترك المكان بهدوء قبل أنْ يتصل بالشرطة أما السّيد حمدي فبدأ يغير الموضوع قائلا :

_دعونا نكمل جلستنا...حقا لقد عكروا مزاجنا...هذا الشيخ لا يأتي من وراءه سوى المتاعب..

حينها تدخلت أنا وقلت..

_معك حق يا سيد حمدي، أحيانا أشعر وأنّه يتعقبنا.

التفت فلم أجد سوميا.

كالعادة حينما يحضر الشيخ يختفي هو...

نظرت إلى السيد مأمون قائلا:

_بالنسبة لموضوع الإنتخابات فلا تهتم، اعتبر نفسك من الآن رئيسًا للبلدية لكن لدي شرط...

فاتسعت عيناه واندهش وقال

_ ما هو؟!!

_نحن الآن أصبح عدونا واحد، أنا وأنت فلنتعاون على التخلص من هذا الشيخ...

ابتسم لي ومد يده لمصافحتي قائلا:

_اتفقنا يا سيد أيهم..

_حسنا إذا...انتظر مني اتصالا فقد أحتاجك في أمر ما...

أومأ برأسه بالموافقة ثم أكملنا طعامنا وسط جو من المزاح وامتد حديثنا ولا أدري كم مضى من الوقت.

عدت بعدها إلى المنزل لأجد ندى بانتظاري بابتسامتها الجميلة وكأنها تريد أن تقول لي " لقد أكثرت الغياب يا أبي، لم أصبحت تتجاهل اللعب معي، لم لم تعد كالسابق، لقد تغيرت "

كنت أحتاج أن أجلس لوحدي فتجاهلتها وذهبت إلى غرفتي حتى ظهر سوميا فجأة

_أين اختفيت؟

ألهذه الدرجة يؤذيك حضور الشيخ عبد الرحمن!؟؟

_أجل...لديه هالة قوية تحيط به، تؤذيني ولا أستطيع التماسك والاقتراب منه أبدا...

اندهشت من كلامه ورغبت أنْ استدرجه أكثرلأعرف المزيد فسألته قائلا

_الهالة!! ماذا تقصد بالهالة؟

تغير شكْله إلى إنسي يشبه شكل الشيخ عبد الرحمن تماما...

قمت من مكاني واقتربت منه وصِرْتُ أدور حوله أنظر إليه وكل علامات الاستغراب انطبعت على وجهي وأنا فاتح فمي ثم قلت له

_ لقد أجدت التنكّر جيدا يا سوميا!!

حقيقة، لا يوجد اختلاف بينكم وكأنّك توأمه...نسخة مطابقة للأصل... براعتك فاقت خيالي...

صرت أتلمّسه وأداعب لحيته الطويلة واربّت على كتفيه العريضتين ثم قلت له مازحا .

_كيف حالك ياشيخي؟

تعالت ضحكاته الهستيرية والماجنة وهي ميزة يختص بها كل الشياطين فكل شيء لديهم مفرط وزائد عن المعتاد فهم يقدّسون كل ما هو غير مألوف كالكذب والتصرفات الشاذة، يحبونها جدا ويعلمونها لأتباعهم حيث حدق بي وهو يقول

_نحن أقوياء عنكم يا معشر الإنس...نستطيع التحول كيفما نشاء لأنّ أجسامنا ليّنة وغير مركّبة، ليست صلبة مثل أجسادكم، ثابتة لا تتحرك...فنحن كالنار ننساب و نتغير...

قاطعته بسؤالي

_كيف لكم أنْ تحرِّكوا الأشياء المادية في عالمنا كالكرَاسي والطاولات وغيرها وأنتم لا تملكون نفس الكتلة، أنتم مثلما قلت أجسام مرنة وغير ثابتة فكيف تستطيعون تحريك شيء له حجم و ثقل...

أخذ يداعب لحيته ثم قال لي:

_ولماذا تريد أنْ تعرف؟؟

_ حب استطلاع لا أكثر...كما أنّني أرغب أنْ أعرف مدى قوتكم ...

_حسنا سأوضح لك أيّها الإنسي...هل ترى المغناطيس...عندما تقرّب القطب الجنوبي بالشمالي فيلتصقان وإنْ حدث العكس يتنافران...أجسامنا لا تنطبق على ماهو مادي في عالمكم فيحدث التنافر فنستغل نحن تلك الطاقة و نحولها إلى حركة...انظر إليّ عندما أضع يدي على الكرسي سوف يتحرك لأنّ مجالي المغناطيسي يتعارض مع المادة التي يتكون منها الكرسيّ...

_ممم...فهمت لكن، كيف استطعت حملي والطيران بي ...

_لا يستطيع جني واحد أن يحمل انسان إلاّ إذا كانوا أكثر في العدد...

_إذا أنت لم تحملني وإنّما أعوانك هم من قاموا بذلك ...

_نعم أيّها الإنسي...هل مازال لديك سؤال آخر؟ لأنّ أسئلتك أصبحت مقلقة وغيرضرورية...

_ لماذا؟؟ أنا من أتباعكم ومن حقي أن أعرف...

_ هناك أشياء يجب عليك أنْ لا تتدخل فيها ولا تسأل عنها.

_سؤال أخير...أخبرني عن الهالة التي قلت أنها آذتك ...

_ أنظر إليّ وستعرف معناها ....

تسمّرت في مكاني حينما ظهرت حلقة منيرة تحيط بكامل جسد الشيخ أقصد سوميا طبعا بجسد الشيخ عبد الرحمن...فعلا كانت إضاءتها مؤذية لنظري، فكيف إنْ تعلّق الأمر به ...

أعجبت بالمنظر وودت لو كان لي مثلها فسألته قائلا:

_هل لي هالة مثله...

ضحك من قولي...

_ أنت لا تملك هالة أصلا...

تعجبت من قوله وقلت له

_ولماذا؟؟

_لا أعلم بصراحة، ربما تختلف من شخص إلى آخر حسب بنيته...

ما أعرفه هو أنّها مؤذية ولا أعلم سرَّ قوّتها...

حملني تفكيري إلى عالم آخر وتذكرت قول جدّي حينما كان يقول " إنّ الأذكار تقوّي هالة المؤمن"...كنت لا أفهم قوله ولا أعلم ما يقصد به وكنت أعتقد أنّها محض أفكار تراوده...تلك كانت من حماقاتي التي كنت أعتز بها...فأسخر من كلامه دائما وأعتبرها من ضمن الخرافات التي كان يؤمن بها أغلب الناس...لكن في الحقيقة ذكر الله له تأثير كبير على جسم الإنسان ماديا ومعنويا لذلك سوميا يهاب ذلك الشيخ ...

_أين سرحت بأفكارك أيّها الإنسي...

_ ما خطبك يا سوميا، لما لا تناديني باسمي...دائما ما تردد أيّها الإنسي...أيّها الإنسي...أنا اسمي أيهم فحاول أنْ تستغله في مناداتي.

_لست جني لأناديك باسمك...

_لقد انقسمنا إذا...أصبحنا شياطين الإنس وشياطين الجن...

أجابني بغضب

_ يكفيك فخرا أن تكون شيطان...وربما تصبح من أولياء إبليس...

كدت أنسى نفسي وأستعيذ منه وتذكرت أنه لا يجوز فقلت له

_ وما هو الثمن لذلك؟

_عليك أنْ تتقرب أكثر فأكثر لتصبح من أولياؤه وسيصبح لك خدم وأعوان مثل الجيوش...

_ ما هو المطلوب مني؟

_ السمع والطاعة و سترى النتيجة بعينيك ...

_هل يمكن مقابلة إبليس؟

تغير شكله وعاد إلى ما كان عليه ثم قال لي

_و لما تريد مقابلته؟

_ لا اعلم بالضبط...ربما حب استطّلاع...ربما أحاول اكتشاف عالمكم أو ربما أرغب في التقرب منه لأصبح أقوى أكثر.

_ستقابله...لكن ليس الآن، عندما يحين الوقت.

_ لكن متى؟ فبصراحة أنا أطوق لذلك فعلا...

_ دعك من هذا الموضوع الآن ولنعد إلى ما هو أهم.

_ وما هو الأهم برأيك؟؟

_علمت حسب طرقي الخاصة بأنّ هؤلاء الذين تعتمد عليهم قد رتّبوا لك مكتبا لتصبح دائما في خدمتهم...

_ تقصد مأمون و حمدي!

ضحك من كلامي ثم قال :

_أجل...كما أنّ مأمون قد قرّر إهداءك سيّارة حين تنجز الأمر...

_إذا هم يسعون لاستدراجي لقضاء مصالحهم...

_أكيد ولكن عليك استغلال ذلك...

_ حين أحتاجك سأطلبك...أريد أن أمرح معهم قليلا ...

_ افعل ما شئت ...أنا ذاهب الآن.

اختفى وظللت أفكر وحيدا في الغرفة والضجيج يملأ رأسي...

تهت بين طيّات الأحلام والأهداف التي أطمح للوصول إليها...أحيانا أتوقف عن التفكير وأقول في نفسي ما الداعي لهذا كلّه...وبعد كل هذا الارهاق النفسي والبدني...إلى أين يصل الإنسان؟؟

لا شيء سوى فراغ...عبارة عن حلقة مفرغة يدور حولها...يبدأ من الصفر ثم يعود إلى الصفر...الكل زائل لا شيء سيظل في محله...أنا الآن هنا ولا أدري غدا أين سأصبح، ربما أموت ماذا سيكون مصيري...ماذا سأقول لربي حينها؟؟ أفكار وأفكار...يجب أنْ أخرج... كلما بقيت وحيدا امتلأ رأسي بالضجيج كالشاحنة القديمة...لن أعود إلى ما كنت عليه...يجب أنْ تواصل يا أيهم لا مكان للاستسلام والتراجع...

الدّمية

غادرت الغرفة، ذهبت إلى المطبخ وجدت ندى تتناول الإفطار، اقتربت منها أداعبها...

_هل أنتِ بخير صغيرتي؟

_بخير يا أبي...لكن، أمي أشعر بأنّها تغيرت.

كانت تلك الكلمات كالصاعقة نزلت على مسامعي فأجبتها والحيرة تملأني.

_ ماذا! ما الأمر ماذا فعلت لك سيرانا؟؟ أقصد أمك تلك.

_ من سيرانا أبي؟

_أقصد أمك...أخطأت في القول فقط.

_أمي أصبحت تتغيب كثيرا عن المنزل أكثر من السابق، وأنت أيضا كذلك، مللت المكوث وحدي...بدأت أشعر بالخوف أبي....

احتضنتها وقبّلتها وقلت لها..

_لا تقلقي ياصغيرتي...سأصلح الأمر، أعدك بذلك.

فكرت قليلا ثم واصلت حديثي

_ ما رأيك أن نحضر خادمة للمنزل تؤنسك وتعتني بك عند غيابي أنا وأمك...آه...ما رأيك؟

_ أبي...أريد دمية...

ضحكت من طلبها وقلت لها

_حسنا صغيرتي، سأحضر لك أجمل دمية...سنذهب الآن للتسوق لتختاري واحدة كما ترغبين بها...

ابتسمت لي وابتهجت من قولي ثم عانقتني وهي تقول.

_شكرا أبي...هيا لنذهب إذن...

_ انتظريني حتى أغير ملابسي و نذهب، اتفقنا.

_ حسنا...سأنتظرك...

حملتها في حضني وتعالت ضحكاتها حين كنت أداعبها حيث أخذتها إلى المتجر واشتريت لها أكبر دمية وأجملها بعد أن اختارتها هي...

كانت تقريبا في حجمها وكنت أمازحها قائلا

_صغيرتي ندى...ماذا ستسمّين صديقتك الجديدة الآن؟؟

_ هل عليّ أنْ أسميها؟ إنّها دميتي وكفى...

_بلى، يجب أن تسميها...ماذا ستناديها حين تحتاجينها لتلعب معك؟ أو حين تدعينها لتتناولا الطعام، يجب أن يكون لها اسم.

ظلت تفكر وتدير خصلات شعرها ثم قالت لي

_سنسميها...ماذا نسميها؟؟ سنسميها سيرانا إذن...

كانت تمشي وأنا أمسك يدها وعندما سمعت تلك الكلمة (سيرانا) توقفت فجأة ثم حملتها بانفعال وبقوة وقلت لها

_ماذا!!! من أين جئت بهذا الاسم؟

_لقد سمعته منك منذ قليل...أعجبني، لما لا نسميها سيرانا إنّه اسم جميل.

تشنجت أكثر وندمت على قلة تركيزي وبدأت أنفخ بغضب وقلت لها وأنا لا أشعر بما أقول

_لا يعني لا...اختاري أيْ اسم ترغبين به إلاّ هذا الاسم، أفهمتني...

بدأت المسكينة تبكي وألقت الدمية على الأرض وقالت لي

_ما خطبك أبي؟؟ لما أنت غاضب مني؟؟ لقد قلت لك من البداية لا داعي لتسميتها...

شعرت أنّني أخطأت في ردة فعلي معها فقبّلتها وأخذت الدمية ووضعتها في حضنها وصرت أحملهما الأثنتين معا ثم مازحتها كي تتوقف عن البكاء.

_هيا صغيرتي عانقي سارة و كفّي عن البكاء...

لا أعلم من أين أتيت بهذا الاسم...نطقت به دون أن أشعر...لا أدرى كيف أخرجته من فمي، المهم أنّه أعجبها وراحت تناديها طيلة الطريق "سارة...سارة" إلى أنْ وصلت وما إنْ فتحت الباب حتى وجدت سيرانا أمامي بوجهها القبيح...تسمّرت في مكاني ولم أقوى على قول شيء

فقالت لي بسخرية

_لا تخف، لن تراني ابنتك و لا داعي لارتباكك...

جئت لأقول لك بأنّ سيدي سوميا يخبرك بأنْ تكون على أتمّ الإستعداد لأنّهم قادمون لأخذك إلى مكتبك الجديد...سأكون معك لأمدّك بالمعلومات بدلا منه.

تجاهلت حديثها وذهبت إلى غرفتي لكنها اعترضت طريقي وهي تصيح بغضب

_ اخرج الآن لقد وصلا بالسيارة، يجب أن تكون في استقبالهما...

يجب أنْ يشعرا بقدراتك وبأنّك عرّاف ماهر...

_لا استطيع الذهاب و ترك ابنتي وحدها في المنزل ...

_ابنتك في حفظنا فلا تقلق.

صرت أضحك بسخرية من كلامها

_لا أشعر بأنّها في حفظكم فكلما أعود إلى المنزل أجدها وحيدة..

_ لما القلق وقد اشتريت لها تلك الدمية...

أحسست أن ملامحها تغيرت وازدادت بشاعة فخرجت مسرعا...

وقفت انتظر قدومهما أمام الباب حتى وصلا...

بدت عليهما علامات الدهشة حين رأوني...ابتسمت قائلا

_مرحبا بالأشراف، كيف حالكم؟

كنت انتظر قدومكم وحدْسي كان في محله..

ضحك السيد مأمون من قولي وأجابني

_أصبت أيّها العرّاف...هيا اصعد...سنأخذك إلى مكتبك..

استدرت لأطمئن على ابنتي أو على الأقل لأودّعها لكني وجدت أمامي تلك الشيطانة بوجهها المتوهج كالنيران المشتعلة فعدت أدراجي وركبت السيارة معهما....

***

وصلنا إلى المكتب حيث استقبلتنا السكرتيرة في الباب، كان مرتّب بطريقة عصرية شدت انتباهي...لقد كان كل شيئا معد مسبقا...
أشار لي السيد حمدي قائلا
_تفضل يا سيد أيهم...
هذا مكتبك...
من الآن أصبحت العرّاف والمعالج القرآني أيهم رشدي...
لا تقلق من شيء فأمورك كلها قانونية، تلك شهادتك موثقة ومعلقة على الجدار هناك...
اقتربت منها ونظرت إليها، أتفحصها...
فعلا كان اسمي مكتوبا عليها...

التفت إليه قائلا:
_ أنا لم أدرس علم التنجيم وإنّما اكتسبتها بعملي فأنا عصامي...طورت مهاراتي بمفردي ولم أعتمد على مدارس ولا جامعات ...
_لا يا أيهم...لا تقل هذا الكلام، أنت الآن تحمل شهادة موثقة و مضمونة بمكتبك الخاص...سيصبح لك زبائن كثر، فكما تعلم...أغلب الوجوه

المرموقة في هذا البلد يحبّون اكتشاف مستقبلهم وما يخفيه، كما أنّه سيعتمد عليك بعض أصدقائنا من رجال الأعمال في معرفة سير أعمالهم...

جلست على كرسيّ المكتب وقد أعجبني فخامته، ثم قلت له

_أكيد...سأكون عند حسن ظنّكم و سألبي طلباتكم و طلبات أصدقائكم والذين سيصبحون أصدقائي أيضا...

تعالت ضحكاتهم من قولي بعد أنْ جلسوا قبالتي على الأريكة...نظر إليّ السيّد مأمون قائلا :

_عليك أن تبدأ العمل من الآن يا سيد أيهم...

فزبونك الأول قادم...اعذرني، سأخرج لأتصل به ولأعلمه أنّ بإمكانه المجيء...

ابتسمت له قائلا

_ فليأتي، فأنا بانتظاره...

ميّادة

كانت سيدة زادت عن الثلاثين في عمرها...هادئة ورقيقة وذات ابتسامة ساحرة...بدا وجهها مألوف، ربما شاهدتها في إحدى الحفلات التي كانت تقام في الفنادق الفخمة التي لطالما كنت أقضي فيها مجوني حين أحاول الهروب مما أنا فيه من مشاكل...لاحظ السيد حمدي دهشتي وإعجابي بها فقال

_أتعرف من هذه المرأة يا سيد أيهم...

أجبته بعد ان زال ارتباكي

_في الحقيقة لا أدري فأنا لا أتابع التلفاز كثيرا...

ضحك السيد مأمون وقال لي:

_ألا تعرف الفنانة ميادة!! أنت لست ذواقا إذا...الأرجح أنّك لا تمارس حياتك بشكل طبيعي ولا تستمع بالحياة...

_ بصراحة لقد كنت أميل للإنعزال ولا أحب الصخب والإحتفالات..

نظرت إليها وابتسمت...وقفت ومددت يدي إليها لأصافحها قائلا

_مرحبا بك في مكتبي...آمل أن أكون عند حسن ظنك وأستطيع مساعدتك بخبراتي ...

نظرت لكليهما وأومأت براسي كإشارة لهما بالإنصراف ليتركاننا بمفردنا...

ابتسم إليّ السيد حمدي وقال

_ علينا الذهاب الآن يا سيد أيهم لندعك تقوم بعملك...

ربما نلتقي في وقت لاحق...

التفتت إلى السيد مأمون لأطمئنه قائلا

_لا تقلق يا سيد مأمون فأنا على عهدي ولم أنسى طلبك...

ابتسم لي ثم غادرا سويا وبقيت معها بمفردنا

نظرت إليها ثم قلت

_تفضلي...بماذا يمكنني أنْ أساعدك سيدتي الكريمة ...

_في الحقيقة لم آتي إلى هنا لأقرأ الطالع أو أعرف ما يخبئه لي مستقبلي وانما أتيت لأمر أخر...

كنت أنظر إليها مصغيا ثم قاطعتها قائلا:

_ لا بأس، بإمكاني مساعدتك في أي موضوع ترغبين به ...

_في الآونة الأخيرة أصبحت شعبيتي تنخفض مع ظهور فنانين و مواهب جديدة و أصبحت عروضي في المهرجانات قليلة و حتى الحفلات...

أريد منك عمل شيء لكي أعود إلى سابق عهدي وتعود شعبيتي كما كانت عليه وتزداد عروضي في المهرجانات والحفلات...

نظرت إليها ثم أغمضت عينيّ وقلت لها

_انتظري قليلا...يجب أنْ أختلي بنفسي...

فقالت

_هل علي المغادرة؟

ابتسمت إليها

_لا داعي لذلك...فقط أريد بعض الحديث الداخلي مع نفسي.

_حسنا كما تشاء...

وضعت يدي على رأسي وكأنّ صداعًا أصابني وصرت أتمتم في نفسي وأردّد بعض تعاويذي المعتادة حتى شعرت بهمْس في أذني...

لم يكن سوميا...

لا بد أنّها سيرانا...

ما خطبه، أيّن اختفى وتركني مع هذه الشيطانة...

همساتها في أذني تشبه طقطقة الرنين المغناطيس، تضرب داخل طبلة أذني...

بدا يتضح لي حديثها تدريجيا وكأنّه موجات الراديو تنساب رويدا رويدا داخلي...

ربما تلبّستني هي الآن...

أحسَسْت أنْ شفتيّ أصبحتا تتحدثان بمفردهما...هي تتكلم بدلا عني...

من الجيد أنْ صوتي لم يتغيّر ولم تلاحظ ميادة تغير هيأتي وإلاّ لكانت غادرت فزعة...

أشعر بأنّي مكبّل أنظر إلى نفسي من الدّاخل، كيف تتحرك شفتاي ولا أستطيع مسك نفسي عن الحديث.

المهم أنّ الخطاب مع ميادة كان واضحا حيث قلت لها

_أنت ميادة من مواليد الثامن من نوفمبر...

تزوجت رجل الأعمال الكبير أدهم شوقي ولم يدم زواجكما كثيرا بسبب الخيانة...هناك من أخبرك...أليس كذلك...

اندهشت من كلامي واتسعت عيناها وقالت لي

_كيف علمت ؟ لقد كان الأمر سرّيا فحتى وسائل الإعلام والصحافة لم تكن لها دراية...بل حتى أصدقائي والمقربين منّي لا يعلمون بذلك.

أصدرت قهقهة وابتسمت لي ثم عدّلت من جلستها وواصلت قائلة:

_ فعلا أنت خارق يا رجل كما أخبرني عنك مأمون .

_لا تقاطعيني من فضلك دعيني أكمل عملي...

_ أعتذر...أكمل...أكمل.

_المنافسة في ميدان الفن شديدة لذلك عليك الحذر لقد تم الايقاع بك أول مرة و لا داعي لأنّ تقعي مرة أخرى...

_أخبرني أرجوك من وراء ذلك ؟؟

_ لا يسعني القول لك سوى أنّه هناك من فتن بينك و بين زوجك.

قاطعت كلامي مرة أخرى وهي تقول

_كنت أعلم أنّ هناك مؤامرة تحاك ضدي...ولا بد أنّ هناك أحد يسعى إلى خسارتي وتدميري ويسعده أن أفقد شهرتي وشعبيتي...

_ لا تقلقي سأصلح الأمر...

أخبريني أولا...ما اسمك وما اسم أمّك؟؟

_ تقصد اسمي الحقيقي و ليس اسم الشهرة ميادة..

_أجل..

_اسمي فاطمة و أمي اسمها منى....

_ سأعد لك تميمة تضعينها دائما معك لكي تذهب عنك الحسد والعين وتساعدك في فك الأذى عنك...

بدأت يداي تتحركان وحدهما حيث استلمت الورقة والقلم وصرت أرسم عليها مربعات وطلاسم يصعب فهمها وبداخلها ارقام ثم لففتها جيدا وناولتها إيّاها قائلا:

_هذه هي التميمة، ضعيها معك دائما و سيزول عنك الرّبط وتنهال عليك العروض...

ابتسمت لي ثم أخذت تبحث في محفظتها، تحاول أن تسلمني النقود فقلت لها.

_يمكنك الدفع لدى السكرتيرة...

غادرت وتركتني أتخبط من الألم الذي حصل لي بعد هذا اللقاء...

شعرت وكأنّ سيفا استل من جرح في قلبي حين خرجت سيرانا...

انتابتني نوبة من السّعال الذي لم تتوقف حتى شربت كوبا من الماء وسط ضحكات سيرانا التي كانت تردد وتقول

_لا تقلق، ستعتاد على الأمر...وجسدك سيصبح أقوى يوما بعد يوم...

_ لقد كدت تقتلينني!

لا تكرري فعلك هذا مرة أخرى أفهمتِ!

دخلت السكرتيرة فجأة وقطعت حديثنا لتخبرني أنّ عددا كبير من الزبائن بانتظاري خارجًا ...

أصدرت حشرجة وعويلا من الداخل لا يسمع مخاطبا سيرانا...

_ لا تقولي لي أنّه مع كل زبون سيحصل لي ما حصل...

أجابتني دون أنْ تظهر شكلها القبيح من خلال همسها في أذني

"لا تقلق سأهمس لك بما تطلبه مني فقط "

بعد أنْ شعرت بتحسّن عدت إلى مكتبي ثم اتصلت بالسكريتيرة لتبدأ بإدخال الزبائن.

بعد مشقة العمل دامت إلى المساء عدت منهكا إلى المنزل...استقبلتني سيرانا فقابلتها بتذمر وكنت أرغب أن تكون ندى مستيقظة لكنها أخبرتني بأنّها نائمة.

اقتربت من باب غرفتها وفتحته ببطء لكيلا أوقظها...أحتاج فقط نظرة فقد اشتقت إليها لأجدها بوجهها الملائكي البريء تحتضن دميتها...

اتجهت صوب غرفتي لأرتاح وما أن وصلت حتى سمعت رنين هاتفي نظرت فإذا به رقم لا أعرفه...

في البداية تجاهلت الرد لكن قلت ربما زبون يحاول الاستفسار عن شيء ما...

أجبت فكان صوت امرأة رقيق تتمايل الكلمات مع قولها وكأنّها تحت تأثير السكر وهي تقول

_أيهم أنا ميادة...أعتذر عن إزعاجك...يسعدني أنْ تقبل دعوتي في حفل أقيمه في منزلي...وأرجو أن لا ترفض...

تلعثمت في الرد قائلا:

_ في الحقيقة...أنا...

قاطعتني وهي تقول

_ لن أقبل عدم حضورك...سأرسل لك السائق...يسرني أن تكوني أحد ضيوفي...

حاولت أنْ أرفض لكنّني استسلمت مع الحاحها....

في حضرة الرّئيس

كنت جالسا أشاهد التلفاز وأحتسى القهوة بعد تعب يوم شاق أرهقني والذي كان بالنسبة لي البداية...شارد بأفكاري أنتظر مرور الوقت حتى سمعت تزميرا لسيارة خارجا...

لابد أنّ السائق قد وصل...

أتفحّص مظهري، مطيل النظر في المرآة...أرتب ملابسي وأعدّل ربطة عنقي ...

ظننت أنّ الحفلة اقتصرت عليّ مع بعض الرفقة لكن تبين لي بأنّ لها معارف عديدة...

بدأت تعرفني عليهم كلما مررت بأحدهم، فهذا ابن الوزير المرموق وهذا نائب في البرلمان وذاك ضابط في الجيش.

تعددت الرّتب فأصبحت لا أميز بينهم وقد شكلوا تجمعات، وكل طير اختار سربه.

كنت انظر يمنة ويسرة أبحث عن السيد حمدي بعد أنْ تركتني ومضت فهو الشخص الوحيد الذي يمكن أن أرتاح بالحديث معه.

وجدته في ركن من أركان هذا القصر الفخم مع مجموعة من رجال الأعمال وبعض الشخصيات المرموقة...

حين رآني صاح قائلا:

_ أيهم!! مرحبا بك تعال أنظمّ إلى جلستنا.

أيقنت فعلا أنّني يجب أنْ أتخلّى عن هذا الخجل والإرتباك وأنْ أتحدّث على طبيعتي وإنْ تطلب الأمر بأنْ استعمل السحر في ترويضهم فلا مانع من ذلك...

جلست وعلمت أنّهم سيحاولون استدراجي لأظهر لهم بعض من مواهبي لذلك كنت مستعدا حيث بدأت أردد تعاويذي دون أنْ يلاحظ أحد وفرحت حينما ظهر سوميا بجانبي.

حقا مللت من تلك القبيحة...

اشتقت إليه فعلا ...

بادرني فورا بالحديث وقد تناول كأسا من الشراب من يد أحدهم.

لم أستطع قول شيء فهم ينظرون إليّ حين اندهشت من فعله فقال لي

_ لما اندهشت؟؟ أنا أحب الخمر فهي شرابي قبل أنْ تكون شرابكم أيّها الإنسي.

أصدرت حمحمة فقاطعني قائلا:

_تكلم و لا تخف فلن يروك ...

_أتكلم ؟ ماذا تريد مني أن أقول؟

_اشرب واستمتع بالحفل وافعل ما تشاء...انظر إليهم جميعا، الكل مستمتع...

ضحكت من قوله وأجبته

_أنا لم أحضر هكذا حفلات من قبل، لذلك أنا مرتبك قليلا فلقد اقتصر ولعي وسهري في تلك الحانة الوضيعة في آخر زقاق حيّنا الشعبي، مخفية عن الأنظار أحيانا لا أجدها إلاّ بعد مشقة من البحث.

قطع حديثنا السيد حمدي عندما ربّت على كتفي وهو يقول

_كيف كان يومك يا سيد أيهم..

أومأت برأسي ثم أجبته

_جيد جدا...الزبائن كثر، ولقد استمتعت أيضا مع كل زبون قضيت حاجته ...

أزاح يده عن كتفي ثم أشار إلى من حوله قائلا

_هؤلاء أصدقائي كلهم من رجال أعمال وفنانين...يجب أنْ تتعرف عليهم فالأكيد أنّهم سيصبحون زبائنك.

ثم بدأ يردد لي أسماءهم وكلّما نطق باسم، ابتسم صاحبه وأومأ لي برأسه كتحية لي...

مرت دقائق إلى أن قدمت ميادة...أخذتني من يدي وهي تشير لي بعد أنْ غمزتني بأنْ ألحقها...

كنت أظنّ أنّها تود طلب أمر ما على الإنفراد لكنها قالت

_شكرا لك أيهم...أنت رائع فعلا.

لا أعلم كيف سأشرح لك...لكن منذ أنْ غادرت مكتبك ومدير أعمالي أخبرني أن عروض الحفلات والمهرجانات قد انهالت عليّ.

عانقتني ثم واصلت كلامها

_بصراحة لا أعرف كيف أشكرك...أيهم...إنْ احتجت أي شيء مني فلا تتردّد في طلبه...

ضحكت من قولها وقلت

_لا داعي لشكري فلم أقم إلاّ بواجبي...

ابتسمت لي

_حقا أشكرك يا أيهم وأتمنى أن أستطيع أن أردّ جميلك...

_لا جميل بين الأصدقاء...

مدت يدها وصافحتني وقالت

_هذا من دواعي سروري...

تركنا خلوتنا وعدنا إلى المجموعة فصاحت بالحاضرين قائلة

_أعرفكم جميعا بالعرّاف الممتاز أيهم رشدي...

أنصحكم بزيارته، فهو مميز للغاية.

أصبحت الأنظار كلها متجهة صوبي فهمست لها بصوت خافت

_ماذا فعلت يا ميادة، ستفسدين عليهم متعة الحفلة ...

_لا تقلق يا أيهم فكلهم يؤمنون بالتنجيم و يتطلّعون لمعرفة ما يخبأه لهم المستقبل...

اقترب الجميع مني ومن بينهم سوميا وهو يتوسّطهم ويحمل كأسا من الشراب...أشار لي قائلا

_ هيا أيّها الإنسي...فلتريهم قدراتك...

تقدمت نحوهم بعد أنْ أخذت نفسا عميقا فلقد كان الأمر صعبًا وسط تلك الوجوه المعروفة وأغلبهم من الشخصيات المرموقة...

ابتسمت لهم بسخرية وقلت لهم

_من يريد أن يجرب ؟ فليتقدم...

سخر أحدهم مني قائلا:

_إنْ كنت عرّاف فأخبرني كم أملك من نقود في جيبي؟

ثم انفجر ضاحكا وتأثير السُّكْر بادي على تصرفاته...
اقتربت منه ونظرت إليه بعد أنْ همس لي سوميا ثم قلت
_ماذا لو أخبرتك عن أكثر ممّا في جيبك ...
ضحك واهتزّ وتغيرت ملامح وجهه قائلا:
_أخبرني ماذا تعرف عني؟؟
_أعرف الكثير، لكني لا أرغب بفضحك أمام الجميع لأنّي لست من ذلك النوع.
انفعل من كلامي وزاد في عناده وقال
_لا تخف، لن أفعل لك شيئا، فقط أخبرني ماذا تعرف عني؟
ابتسمت له وقلت
_بما أنّك مصرٌّ، حسنا...سأخبرك إذن...
لكن سأبدأ أولا بالمبلغ الذي تحمله في جيبك الآن، ألا وهو ألف دينار، أليس كذلك؟
ابتسم لي وبدأ يصفِّق وكاد يسقط وهو يتعثر ولم يعد قادرَ على التّحكم بحركاته من أثر السُّكْر ثمّ أجابني مندهشا.
_ أحسنت أيّها العرّاف الذّكي...
لكن، أخبرني ماذا تعرف أكثر؟ أريد المزيد...
كان الجميع مشدوهين...يشاهدون حوارنا بإمعان والكل يترقب المفاجآت فمنهم من يزَفِّر، ومنهم من يكتفي بالتصفيق.
اقتربت منه وقلت له

_أعلم أيضا الواقعة التي حصلت لك الصيف الفارط، عندما صدمت شخصًا بسيارتك، قتلته وهربت دون أنْ تأخذه إلى المستشفى، أظنّ أنّ تلك الحادثة لا يعلم بها أحد غيرك...

إحمرَّ وجهه وتشنج وحاول الاعتداء عليّ، لكنّي دفعته فسقط وازداد هيجانًا وأصبح يسُبُّ ويلعَنْ ويتفوّه بعبارات نابية...

تدخل البعض من أصحابه ليهدئوه لأنه كان يحاول ضربي...

جذبني السيّد مأمون وقال لي

_ماذا فعلت يا أيهم، أتعرف من يكون؟

فقلت له بغضب متناسيا مقامي كعرّاف

_ومن أدْراني من يكون هذا المعتوه !!

نظر إليَّ وقد اتسعت عيناه قائلا

_إنَّه ابن الوزير...

هيا تعال، دعك من المشاحنات ولا تورط نفسك يا أيهم ...

تغير لون وجهي وشعرت بالخوف فحاولت إخفاء ارتباكي قائلا

_أنا لم أفعل له شيئا، هو من طلب مني ذلك...

فما دخلي أنا حتى يتهجَّم عليّ...

جذبتني ميادة وهي تقول

_ماذا فعلت يا أيهم إنه عماد ابن الوزير...لقد حاولت أنْ انبِّهك لكنك لم تلاحظ ذلك...

زاد انفعالي من كلامها وقلت لها

_أأأأوف، أصبحت أنا المُلام الآن...

أنا ذاهب ...هذا المكان أصبح يوترني بصراحة...

تبعتني وهي تقول

_تمهل يا أيهم، لا تخف، سوف أحاول التحدث معه ...

_لا...لا لن أبقى...تركت ابنتي وحيدة و يجب أن أعود اليها فالوقت أصبح متأخّر..

حاولت منعي من المغادرة لكنني خرجت وأنا ادّعي الغضب وهو في الحقيقة ما هو إلاّ الخوف من ردة فعله "إنّه ابن الوزير"

ماذا سيفعل بك والده؟

إنْ عَلِمَ أنّك اعتديت على ابنه واتّهمته بقتل شخص...

سوف يزجّ بي في السّجن...

تبا لك ياسوميا ولأفكارك الملعونة مثلك، وتبا لي حين وثقت بك!!!

أأعود الآن وأعتذر منه أم ماذا!!!

لا...لا، يجب أنْ أذهب، إنّه مخمور الآن ولن يتذكرني حينما يصحو غدًا...

لكن، ماذا لو أخبره أصدقاءه من أكون، وماذا فعلت به!!

ياويلي ماذا سيفعل بي حينها؟؟

كادت تصدمني سيارة وأنا منهمك بالتفكير، أحدّث نفسي كالمجنون.

أوقفت سيّارة أجرة وعدت إلى المنزل ورغم همسات سوميا لي بالعودة إلاّ أنّي تجاهلته.

اختليت في غرفتي وأكْملت الشّرب حدّ الثمالة فغلبني النوم ولم استفق إلاّ مع مداعبة ندى وهي تضحك وتقول لي

_أبي...

صباح الخير

فتحت عيني بصعوبة فمازالت أشعر بدوّار مما حصل ليلة البارحة ولازالت لم أنس ما دار بيني وبين ابن الوزير وكيف أنسى وقد كانت ليلة حافلة بالأحداث والمغامرات.

قلت في نفسي يجب أن أتجاهل ما حصل...

عانقتها عناقا شديدا ولعبت معها وصارعتها هي ودميتها كالمجنون وتناولنا الإفطار معا ثم غادرت إلى عملي.

وصلت إلى مكتبي متأخرا وكان الزبائن بانتظاري كالمعتاد منذ الصباح الباكر.

دخلت مكتبي بعد أنْ استقبلتهم بابتسامة وتحية ثم طلبت من السكرتيرة ادخال الزبون الأول ثم الثاني وتوالت العملية والكل يشْكِي همّه ويتحدث عن مشكلته، فمنهم من تبحث عن عريس وتطلب المساعدة ومنهم من تحاول ربط زوجها كي لا يطلقها ويتزوج عليها وهناك من المشاهير أيضا الذين اتصلوا بي يطلبون موعدا للزيارة ولا داعي لذكر أسمائهم.

أنا على قدم وساق منهمك في استقبال الزبائن حتى وردني اتصال من السكرتيرة...

_سيد أيهم، هناك من يطلبك.

اتسعت عيناي وأحسست أن الأمر له علاقة بما حصل البارحة فأجبتها منفعلا

_من؟؟ من يريد لقائي؟؟

_إثنان قال أنّهما من الأمن الرئاسي.

أصبحت ركبتاي تصطكّان وتحتكّان ببعضهما البعض...كدت أسقط عند سماع كلامها " لقد وقعت يا أيهم ولن ينقذك من هذه المأزق أحد أبدًا"

ظلت للحظات تكرّر قولها وأنا أفكر ولا أسمع ما تقول

_ سيّد أيهم...سيّد أيهم...هل مازلت معي على الخط؟؟ هل أتركهما يدخلان؟؟

أجبتها وأنا أتلعثم ولم أعد أتحكم في لعابي

_لا...لا...سآتي أنا إليهما...

وضعت سماعة الهاتف وأنا أرتجف" ماذا سأفعل الآن...أين أنت ياسوميا؟؟"

ردّدْتُ تعاويذي علّه يحضر، لكن لا شيء، اختفى لا أثر له، أيخاف الشرطة هو الآخر أم ماذا ؟؟ كيف ؟؟ لا يمكن!! سيحضر، أنا أعلم ذلك وسيخرجني من هذه الورطة...أنا متأكّد من ذلك.

خرجت متثاقلا إليهما، كانت نظراتهما نحوي عادية ولا يبدو أنهما على وشك اعتقالي، فتعاملهم معي بدا لطيفاً...صافحاني وألقيا التحية باحترام، ارتحت فعلا لتعاملهما معي وقلت لهما

_مرحبا بكم...شرفتم مكتبنا المتواضع...

بما يمكنني أن أخدمكم؟

أجابني أحدهما...شخص طويل القامة يرتدي بدلة سوداء ونظارة أيضا بنفس اللون.

لم أر وجهه فقد كنت مطأطئ الرّأس

_سيدي الوزير أرسل في طلبك.

العرقلة

سمع رائد وقع أقدام تتجه صوب الباب فأشار للعرّاف يأن يتوقف عن الحديث...أخذ الهاتف من أمامه ووضعه في جيبه...لقد كان تخمينه في محله فلم تدم لحظات حتى انفتح الباب... مدير السجن ومعه بعض الحرّاس...اندهش رائد عند رؤيتهم ثم قال وهو يشير إلى ساعة معصمه .

_لقد اتفقنا بأن الزيارة ستدوم ساعة كاملة...مازال لدي نصف ساعة ...

لم ينبس المدير بأي كلمة سوى أنه أومأ برأسه للحرّاس الذين اتجهوا عند اشارته صوب العرّاف ليأخذوه...

ابتسم العرّاف إلى رائدا قائلا:

_يبدوا أنْ هناك من أزعجه هذا اللقاء ....

اقتاده الحرّاس إلى الخارج ليأخذوه إلى زنزانته أمّا رائد فاتجه صوب المدير يعيد تكرار السؤال ...

_سيدي...قلت لك أنّ المهلة التي اتفقنا عليها لم تنقضي...

سار المدير خارجا متجاهلا كلامه وهو يسير في صمت بين أروقة السجن، يتفقد السجناء إلى أن وصل إلى مكتبه ومازال رائد يخاطبه محاولا فهم الدافع الذي جعله يقطع اللقاء...

جلس في مكتبه...أخرج من جيبه علبة السجائر...

وضع سيجارة في فمه ثم مدّ العلبة إلى رائد وأشار إليه بأن يأخذ واحدة...

فمع توتره وارتباكه لا يمكن لشيء آخر أن يطفئ غضبه سوى السيجارة، لذلك انصاع لأمره...

وضع السيجارة في فمه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة...ظل يبحث لبرهة عن القداحة في جيبه لكن المدير أعطاه ولاعته مبتسما...

يداه ترتجفان وهو يحاول اشعال القداحة...جلس بعد أن نجح في الأمر وهو يمتص الدخان ثم أطلق السحابة الدخانية من فمه وهو يقول

_هل أتاك أمر من فوق....

تغيرت ملامح وجه المدير وقد غير من جلسته قائلا :

_أتعلم أنني إلى الآن لازلت أعاملك بلطف، ليس لأنك صحفي...لا...لا...فأنا أصلا أكره الصحفيين...أتعلم لماذا...أتعلم لماذا أكره الصحافيين...

لم ينبس رائد بكلمة بل أومأ برأسه بالنفي...

نهض المدير من كرسيه بعد أن أطفأ سيجارته ثم واصل كلامه وقد اقترب من رائد وهو يربت عن كتفه

_أنا أكرههم لأنهم يتساءلون كثيرا...يحشرون أنوفهم في كل شيء...يريدون التدخل في أمور لا تعنيهم...لديهم فضول زائد...وأنا لا أحب ذلك...لذلك أنا أكرههم...

الشيء الوحيد الذي جعلني أوافق على لقاءك مع هذا العرّاف هو المال...ولكن للأسف هناك أمر أقوى من المال في هذه الدنيا...أكيد أنك تعلم ما هو.... إنّها السلطة والقوة يا صديقي.... السلطة هي من تحكم هذا العالم...

قاطعه رائد قائلا

_أتقصد أن هناك أمر دفعك إلى ذلك...

_أجل أيها الصحفي... دافع السلطة أقوى من دافع المال أحيانا...لذلك أطلب منك أن تنسى موضوع لقاء العرّاف فقد صدر أمر بإبقاءه في المنفردة وعدم السماح لأي كان بزيارته حتى صدور الحكم...

حاول رائد التدخل لكن المدير قطع ما كان سيقول

_بلّغ تحياتي للسيد خالد...فهو الصحفي الوحيد الذي لا أكرهه تقريبا ربما لأنه صديقي منذ أيام الدراسة...لازلت لا أعلم بالضبط...

أطفأ رائد سيجارته ثم غادر دون أن ينبس بكلمة....

بخطوات متثاقلة يمشي في باحة السجن... استقلّ سيارة الأجرة وعاد إلى مقر الصحيفة...

أغلق المكتب على نفسه ثم أسند كتفيه ورأسه على الطاولة وأغمض عينيه لينام تدريجيا...

لم يعد للعمل أهمية...انقلبت عليه الموازين فجأة....

أحيانا يشعر المرء أن قوانين العالم كلها قد أصبحت ضدّه... كلما سار خطوة إلى أمام انزلق عشرة خطوات إلى الأسفل...

يا للخيبة، لقد قضى جل سنوات عمله مستهترا لا يبالي وحين أظهر اجتهاده في شيء لم يكتمل ...سمع رائد طرقات خفيفة ثم ازدادت حدّتها وأصبح الطرق قويا يكاد يكسر الباب...

ثم تحولت إلى مقطوعة موسيقية تصدر "دوم...تاك...دوم.... تاك "

علم أنه خالد يمازحه فتجاهله...لكنه تمادى في الطرق ...فخاطبه بتثاقل

_خالد...ماذا تريد... أرجوك دعني وشأني... لقد انتهى كل شيء...

لكن خالد صاح به من وراء الباب وقد غير لكنته وصوته... أصبح يشبه صوت المدير...السيد أحمد ...

_افتح يا سيد رائد...أريد أن اتحدث معك ....

انتفض رائد ومسح اللّعاب عن وجهه وفرك عينيه ثم اندفع نحو الباب ليفتحه...

لقد استشاط غضبا حين علم أنّها حيلة من حيل صديقه المجنون...

ظل يتمتم بموجة من السباب الغير المفهومة وسط ضحكات خالد الذي كاد يسقط من الضحك ...دفعه قائلا:

_ما خطبك أصبح مزاحك ثقيلا وفي غير محله...

بعد أن توقف عن الضحك سار به إلى الداخل وهو يقول

_تعالى وأخبرني ماذا حصل لك مع العرّاف...وكيف كان اللقاء...

عاد رائد إلى وضعيته الأولى مستندا على الطاولة وقد أغمض عينيه وهو يقول

_لقد انتهى كل شيء...لقد ألغي اللقاء وتم طردي من السجن...

اندهش خالد من كلامه ثم قال بعد أن جلس على الكرسي

_لماذا!!! ما السبب!!!

_ لا أدري بالضبط...يبدو أنّ أحدهم لا يريد للصحافة أن تتدخل في شأن العرّاف...

ضغط خالد بأسنانه على شفته السفلى بغضب وهو يقول

_اللعنة... لقد اتفقت معه على أنك ستكمل اللقاء دون أي تدخلات منه...

_ لا أظن أن الأمر بإرادته...لقد أتاه أمر بإلغاء اللقاء وتحويل العرّاف إلى المنفردة وعدم التقاءه بأي جهة اعلامية حتى صدور الحكم فيه...

تنهّد خالد ثم قال

_أنت سيء الحظ يا رائد...لكن، أخبرني ماذا ستفعل الآن...

رفع رائد رأسه وهو يبتسم إليه

_ربما سأقدم استقالتي للسيد أحمد...سأبحث عن صحيفة رياضية أخرى...أنا أحب الرياضة وأهتم بها...لم يرقني قسم الجرائم ثم إنّ هذه المواضيع تحتاج إلى صبر ومثابرة وإصرار وأنا لا أحب تكرار الأمور والسعي ورائها...أحب الحرية في طرح الفكرة...لا أحب أن يتدخل أحد في عملي....

ضحك خالد من كلامه ثم خاطبه متجهما

_أشعرتني يا رجل وكأنك كنت الإسم الأول في مجال الرياضة...

نهض رائد من مكانه بعد أن أكمل غفوته...فيما ظل خالد يتبعه بعينيه وهو يغادر المكتب دون أن ينبس بكلمة...

لحق به حين أيقن أنّه جاد في كلامه فقد كان متجها فعلا إلى مكتب المدير...

أمسك به من الخلف وهو يقول

_هاي...هاي...على مهلك يا رجل...لقد كنت أمزح معك...ما الذي تفعله...أحقا تنوي الإستقالة...

التفت إليه بوجه عابس وقد رفع حاجبيه ثم أومأ برأسه وهو يقول

_أتركني يا خالد...هذا المكان أصبح لا يطاق ...

دفعه إلى الخلف ثم استمرّ في طرق الباب ينتظر الأمر بالدخول ورغم محاولات خالد لثنيه عن فعله إلا أنه رفض أن يصغي إليه...

دخل وقد أطال المكوث...مازال خالد ينتظره خارجا وقد جلس على مكتب السكريتيرة التي كانت غير موجودة ...يعبث بهاتفه...منشغلا باللعب بلعبة اللودو الشهيرة حتى أحس بوكز خفيف على كتفه...رفع رأسه وهو يتمتم ممتعضا....

لقد كانت (سلوى) السكريتيرة

_ماذا تفعل هنا يا خالد...

نظر إليها ساخرا وهو يقول

_ألا ترينني وأنا منشغل باللعب...

تأففت من قوله

_ألا تمل من المزاح طيلة الوقت يا خالد...

قطع كلامها قائلا:

_صحفي في قسم الكاريكاتير الساخرة...برأيك ماذا سيكون مزاجه اليومي سوى المزاح ولعب بأعصاب الآخرين ...

_كف عن المزاح وأخبرني، ماذا تفعل في مكتبي...

لم يعرها أي اهتمام بل واصل انشغاله باللعب عبر الهاتف وهو يدندن ويغني وأحيانا ينظر إليها مبتسما وكأنه يريد إغاظتها... صاحت به مرة أخرى

_ما خطبك اليوم يا خالد...لماذا لا تذهب وتكمل اللعب في مكتبك...

رفع رأسه ينظر إليها وقد وضع هاتفه على المكتب

_لا تقلقي، لن اطيل المكوث، أنا فقط أنتظر خروج رائد من مكتب المدير...

لم يكمل كلامه حتى انفتح الباب ليخرج رائد متجهم الوجه عابسا وكأنه تم طرده من قبل المدير...حتى أنّه لم يهتم لنداءات خالد التي تأمره بالتوقف...

لحق به مسرعا

_انتظر يا رائد...أخبرني لماذا ذهبت إلى المدير...

التفت إليه...حدّق به لبرهة وكأنّه يفكر في أمر ما ثم قال وقد اقترب منه وهو يمسك بيده

_تعالي معي يا خالد...خطرت لي فكرة للتوّ، ربما تنجح مع مدير السجن...

يتبعه خالد بخطوات متعثرة يكاد يسقط من أثر جذبه له وهو يردد ويقول

_على رسلك يا رجل...إلى أين أنت ذاهب...

وقف أمام مقر الصحيفة دون أن ينبس بكلمة...لمح سيارة أجرى قادمة...أشار إليها بالتوقف ...ركب ثم أومأ برأسه لخالد بأن يتبعه ...

ثم قال:

_يجب أن نذهب إلى السجن...خطرت لديّ فكرة وربما يقتنع بها مدير السجن ويسمح لنا بمقابلة العرّاف...

وكزه خالد بعنف

_ألم تقل بأنك ستقدم استقالتك وبأنك مللت موضوع العرّاف...

ابتسم إليه قائلا:

_لا يا صديقي لست من النوع الذي يستسلم بسهولة...

_إذن كنت تستهزأ بي...

قاطعه ساخرا

_ألا يحق لي ذلك...أحاول أن أرّد لك ما تفعل بي دائما...

تعالت ضحكاته

_هكذا إذا...لكن ما الذي كنت تفعله مع المدير...

_لديه أصدقاء ومعارف كثر...قلت ربما يستطيع مساعدتي، لكنه رفض...مازال يحاول المحافظة على الصورة اللامعة التي رسمها لنفسه...فهو الصحفي الشريف الذي لا يقبل الرشاوي ولا يمكن أن يغير مبادئه...

نظر إليه خالد ممتعضا وقد ظل يفرك رأسه طويلا

_ بصراحة أذهلني إصرارك في الاهتمام بهذه القضية...سبحان مغير الأحوال...لقد كنت تنال التوبيخ حتى تقدم عملك على أكمل وجه والآن تنال التوبيخ لكي تتوقف عن العمل ورغم ذلك ماتزال مصرّا على ذلك ...

_بصراحة أعجبتني قصة العرّاف...أشعر وكأنني أقرأ رواية من روايات الرعب العالمية...رجل فقير الحال يصبح ساحر...يدخل إلى كهف

ويتحدث مع العفاريت...بربك ألا يدعو هذا إلى الفضول لمعرفة بقية القصة...

بدأ بالاهتزاز من فرط الضحك وهو يضرب على مقدمة الكرسي

_هل أخبرك حقا أنه يتحدث إلى العفاريت...وأنت كالأحمق تصدق ذلك...

قاطعه رائد وقد تغيرت ملامح وجهه

_ولما لا أصدقها...إنه سحر يا رجل...يعني تواصل مع الجن والشياطين ...

_بصراحة أن لا أؤمن بهذه الأشياء...أنا لا أؤمن إلا بما أرى...

_اصمت...اصمت...ها قد وصلنا...هو صديقك وعليك مساعدتي في اقناعه...

_ عليّ أولا معاتبته لأنه رفض طلبي...اشعر بغضب تجاهه لا يوصف...

رمقه بنظرة تنبيه وقد اتسعت عيناه

_دعنا من تصفية الحسابات الآن...يجب أن نقنعه باللطف..أرجوك لا تفسد الأمر...

بخطوات متثاقلة سارا سويا إلى داخل السجن...

يشعر رائد بالتوتر الشديد...

يتمتم بدعوات في سرّه علّه ينجح في اقناع مدير السجن بالعدول عن قراره...أمّا خالد فلقد كان مزاجه المعتاد ينأى عن الجدية حيث كان ينظر إليه وهو يبتسم...حتى أنّه دفع الباب دون حتى أن يستأذن وسط ذهول رائد وهو يقول

_ما خطبك يا رجل لا ترد على مكالماتي...منذ الصباح وأنا أتّصل بك ولا تجيب...

ثم التفت إلى رائد قائلا :

_عذرا يا صديقي لقد نسيت أن أقول لك بأنني حاولت الاتصال به لكنه لم يرد للآسف...

تغيرت ملامح وجهه وقد اقترب منه يحاول فهم مايحصل...

قطع المدير ما كان سيقوله بعد أن نهض من كرسيه واتجه صوب خالد يصافحه وهو يقول

_أهلا بالسيد خالد...عذرا لم انتبه...لقد تركت الهاتف على مكتب...ربما كان اتصالك حين كنت خارجا..

اقترب منه خالد يهمس إليه بعد أن صافحه

_أنا أعلم أنك قد تكون في ورطة بعد أن تسمح لهذا الصحفي الغامر بمقابلة ذلك العرّاف، كما أعلم أن لكل مشكل حل...وأعلم أنك ذكي لدرجة أنك ستجد حل لهذه المعضلة...

سحب المدير يده منه ثم عاد إلى الخلف ليجلس في مكتبه...

تبادل كليهما النظرات وكأنهما ينتظران ما سيقوله...

تنهد مدير السجن ثم قال:

_بصراحة يا خالد أنا لا أنسى بأنك كنت سندا لي في بعض الأوقات وساعدتني في بعض الأمور لكن هذا الأمر صعب للغاية فالقرار هنا ليس بيدي...

قاطعه خالد وهو يصيح

_لكنك المدير هنا !!!

_لكن شأن العراف يفوق سلطتي فلقد كان قرار عزله من قبل الرئيس...

اندهش خالد وقد جحضت عيناه وهو يقول

_الرئيس !!!

أومأ مدير السجن برأسه قائلا :

_أجل....

التفت خالد لصديقه رائد الذي لم ينبس بكلمة ثم اقترب منه قائلا

_أظن أن الأمر أصبح شائكا...

أنصحك بأن تنسى الموضوع...

تسمّر رائد في مكانه في ذهول تام دون أن ينبس بكلمة...

لكن وكأنّ شيئا خفيا بدأ يهمس في أذنه ويقول له " سأساعدك يا رائد إن قبلت بشروطي"

شعر وكأنه أصبح يحدّث نفسه من الداخل ويقول وهو يجيب هذا الصوت الغريب " أرجوك ساعدني سأفعل أي شيء"

اقترب رائد من مدير السجن قائلا:

_ماذا لو انتحلت صفة السجين وتم ادخالي إلى زنزانة التي يقبع فيها العرّاف وهناك سأكمل لقائي معه دون أن يحدث لك أي مشكل...ما رأيك...

_ يبدو أنك تشاهد الأفلام كثيرا...ما الذي تقوله يا رجل...

صمت المدير للحظات وهو يفكر ثم واصل كلامه

_لكن، أعجبني إصرارك أيها الصحفي...ربما سأعرض نفسي للخطر أكثر إن سمحت لك بانتحال صفة السجين وقد نتورط نحن الأثنان إلى ما يحمد عقباه...لكن...

قاطعه رائد متسرعا

_لكن ماذا!! أرجوك أن توافق، لن أطيل كثيرا...نصف ساعة لا أكثر.

صمت لبرهة ثم قال:

_اتبعني...

اندهش رائد من سرعة قبوله ونهض مسرعا لكن خالد جذبه بقوة وهو يهمس له

_أنت تعرّض نفسك للخطر بتصرفك هذا...

تجاهل كلامه وقد واصل سيره يتبع مدير السجن الذي طلب منه أن ينتظر في غرفة الزيارة...

طيلة فترة انتظاره كان يسمع أصوات تهمس في أذنه لكنه كان يتجاهل ويدعي أنها جراء الإرهاق والتعب حتى انفتح الباب فجأة...لقد كان المدير ومعه العرّاف... بدا عليه الإرهاق والتعب هذه المرة...شاحب الوجه وقد طالت لحيته ...ابتسم حين رأى رائد ثم جلس قبالته...

اقترب مدير السجن يهمس له قائلا:

_عند كتابة مقالك حاول أن تذكر أنني منعتك من زيارته ويمكنك شتمي أيضا فقط كي تبعد التهمة عني..

ثم واصل كلامه بصوت عالي وهو يصدر حمحمة...

_لا تطيل...نصف ساعة لا أكثر...

ابتسم إليه رائد قائلا:

_لا تقلق...سأحاول أن لا أطيل...

غادر مدير السجن غرفة الزيارة بينما ظلّ رائد ينظر إلى العرّاف ثم قال

_أخيرا نجح الأمر وعدنا من جديد...

ضحك العرّاف وهو يقول

_كيف اقنعته بالعدول عن رأيه...انت ماهر أيها الصحفي..

أخرج وائل هاتفه ووضعه أمامه ثم قال

_أعذرني لا وقت للشرح الآن...ليس أمامنا الكثير من الوقت...لنكمل ما بدأنا...

صمت العرّاف قليلا ثم قال :

_هل لديك سيجارة ؟؟

أخذ رائد يبحث في جيبه قائلا:

_لا أعلم، أظن أنني ما زلت أحمل شيئا في العلبة..

أخرج السيجارة وأعطاها إيّاه... نظر إليه العرّاف وهو يقول

_أتعلم أنني منذ سنوات لم أدخن ويبدو أنني سأعود إليه مجددا...أشعر بالوحدة في تلك الغرفة الضيقة...آه... صحيح عليك أن تذكرني أين توقفنا فلقد نسيت...

أخذ رائد الهاتف وبدأ يستمع للتسجيل ثم قال:

_لقد توقفنا عند قدوم أعوان الأمن الرئاسي لأخذك...

قاطعه العراف قائلا:

_جيّد...هل أبدأ الحديث...

وضع رائد الهاتف أمامه ثم أشار إليه أن يبدأ

***

العودة

كانت تلك الكلمة كفيلة بأنْ تجعلني أجلس...شعرت بالإغماء فطلبت من السكرتيرة أن تناولني كوبًا من الماء لأرتاح قليلا، فابتسم لي أحدهم قائلا:

_لا داعي للقلق فلو كان الأمر طارئا لما جئنا إلى مكتبك في هذا الوقت بل لكنّا أحضرناك من المنزل منذ الفجر، فهيّا معنا كي لا نتأخر...

ورغم طمأنتهم لي إلاّ أنّي ظللت طيلة الطريق وأنا أفكّر في حل لهذه المشكلة وأحيانا أمنّي نفسي بأنّ الأمر عابر وربما الوزير يطلبني في أمر لا علاقة له بابنه.

توقفت بنا السيارة أخيرا أمام منزل فخم في ضواحي المدينة...تبين لي لاحقا أنه على ملك الرئيس وهو مخصص لاستقبال الأشخاص المرموقين بطريقة سرية بعيد عن أنظار الصحافة والاعلام...

تبعتهم وأنا أرتجف في صمت دون أنْ أنبس بكلمة حتى وصلنا إلى مكتب الرئيس....

كان المنزل مقسمًا إلى قسمين...باب أمامي وباب خلفي، الباب الأمامي مخصص لعائلة الرئيس التي كانت تأتي إلى هنا للإستجمام أيام العطل وللإبتعاد عن ضوضاء المدينة أمّا الباب الخلفي فهو للزّيارات السّرية حيث كانت الحراسة مشدّدة وأعوان الحراسة يطوّقون المكان، ومن ذاك الباب كان دخولي...

دخل أحدهما إلى المكتب بعد أن أشار لي بأنْ انتظر خارجا...وماهي إلاّ لحظات حتى عاد وقال لي

_تفضل سيد أيهم...الوزير بانتظارك...

كنت أنظر يمنة ويسرة وقد أبهرتني شساعة المكتب ودقة تنسيقه وهو مزين بأواني فخارية نادرة وقطع أثرية من العصر القرطاجي، نسيت ذلك القلق الذي كان بداخلي حتى خاطبني أحدهما قائلا:

_اجلس أيّها العرّاف...

نظرت، فإذا بالرئيس على مكتبه أمامي...بدا لي مختلفا وهو يلبس لباس غير رسميّ، ليس كما كنت أراه يلقى خطاباته المعتادة في التلفاز، كان معه رجلان يجلسان بجواره، ربما أحدهما الوزير والأخر لاأدري من يكون فأنا لست ممّن يهتم بالسياسة، أنا أصلا لا أشاهد التلفاز إلاّ قليلا فأحيانا ما أشاهد الرسوم المتحركة مع صغيرتي ندى....

أضحك معها على تصرفات ذلك الفأر حين يلحق به القط وهو يحاول التهامه...

هي تتعاطف دائما مع ذلك الفأر الصغير، لكنني دائما ما كنت أرغب أنْ يمسك به ذلك القط...ويقتله...

كنت عدائيّ بالنسبة إليها، فلطالما كرهت فيّ تلك الخصال وكانت سبب شجارنا دوما...تلك المسالة كانت تعتبر مثل المعركة بيننا، لكن في النهاية تغضب مني وأستسلم وأراضيها وأتنازل عن حقي....

كيف لفأر مخرب أن يكون أفضل من قط وهو الذي يحمي المنزل من ذلك الشيء الصغير والقبيح الذي يسبب الأمراض، فعلا للإعلام دورٌ في تغيير مبادئ الناس أحيانا...

ظللْت أحلّق سارحا بخيالي حتى صاح بي أحد الرجلين الذين كانا برفقته....

يبدو أنه الوزير لأنّ الآخر بمظهر الأوروبي، أشقر ذو عينين خضراوين وهادئ الطبع لم ينبس بكلمة منذ دخلت، أمّا الأخر فتحركات يديه التّي تسبق كلامه توحي بأنّه عربي...فكان تخميني في محله عندما صاح بي قائلا:

_ماذا فعلت لابني ليلة البارحة أيّها العرّاف؟؟

ماذا تراني أقول وكيف أتصرف الآن وأنا في حضرة الرئيس وسوميا يبدو أنْ الأرض قد ابتلعته، لقد اختفي وذاب كما يذوب الملح في الماء...

تقدمت إليهم واحنيت رأسي وقلت

_أعتذر لسيادتكم، فلم أكن أعلم أنّه ابنكم...

كما أنني والله لم أكن أقصد به الأذى ولقد كنت فقط أحاول إضفاء بعض المتعة للحفلة...

أصدر همحمة ثم قال لي

_ لا بأس...قبلت اعتذارك...

لكن أخبرني...كيف اكتسبت هذه المهارات ...

رفعت رأسي ونظرت إليه بعد طول انحناء وقلت

_إنّها هواية يا سيدي اكتسبتها من المطالعة و البحث والعمل.

نظر إليّ بغضب ثم قال:

_لا تتحايل...قل بأنّي عرّاف وساحر ولا تتذاكى عليّ فانا لست أحمقا، افهمت!!

ارتجفت من صيحاته وغضبه وقلت:

_حسنا يا سيدي... كما تريد، أنا ساحر إذن...

ضحك بسخرية قائلا:

_كان يجب أن تقول ذلك من البداية ولا توتّرني...

_ أنا أسف يا سيدي...حقا أنا آسف...

_ لابأس، المهم...أتستطيع استخراج الكنوز أم لا... أيّها الساحر؟

أجبته متلعثما

_في الحقيقة يا سيدي، لم أجرّب...لكني من أجلكم، سوف أفعل أيّ شيء تطلبونه...

_ جميل إذن...استعد...ستذهب الآن، سيأخذك الحرّاس إلى مكان في الضاحية لتتفحصه إنْ كان به كنز أو آثار...

تفاجأت من طلبه ولم أستطع الرفض فكيف سأرفض والرئيس يحدق بي بنظرة مريبة دون أنْ ينبس بكلمة فماذا لو تكلّم، الأكيد سيجزّوا بي في غياهب السجون ولن أخرج أبدا ولن يستطيع سوميا إنقاذي وربما سيفرح بذلك...فهو شيطان...

أومأت له برأسي ثم قلت

_حاضر سيدي كما تريد.

كانوا ينظرون لي وهم يتضاحكون وبدا كأنهم يسخرون مني... الشخص ذو الوجه الأوروبي يتحدث بالفرنسية وعلمت بأنه السفير الفرنسي بعد أنْ صافحه وقال له "يا حضرة السفير"...

لم يدم انتظاري طويلا فقد قدم الحراس وأخذوني إلى وجهة غير معلومة وسط غابة كثيفة.

توقفت بنا السيارة في هضبة تكسوها الحشائش وهي منطقة محضورة وممنوع الاقتراب منها من قبل سكان المنطقة...هي كالمحمية...

أشار لي السائق بأنْ أنزل لأتفحص المكان وهم سينتظرونني في السيارة حتى أعود ...

سرت أمشي بخطوات متثاقلة، فما الذي سأفعله من دون حضور سوميا، فمن دونه لا أساوي شيئا...حتى تلك القبيحة سيرانا اختفت هي أيضا رغم أنّه أمرها بأنْ تظلّ معي إلا أنّها رحلت هي الأخرى...

اقتربت لأنظر بين الحشائش عليّ أجد شيئا...

ثم ما الذي سأجده؟؟ فأنا لا أعرف شيئا عن الكنوز وعن كيفية استخراجها...

أنا أصلا لا أحب الخوض في هذه الأمور...

صرت ادّعي البحث فقط لكي اظهر للحراس بأنّي أقوم بعملي على أكمل وجه وكي لا أبدو أنّي ساحر دجال...

تحوّل ترديدي وهمسي بالدعاء إلى الله بأن ينجيني من هذا المأزق...

ولقد أشركت بسوميا الآن ولم يعد له سبيل ...

فجأة تحولت الأرض إلى أرض غير أرضنا وسماء غير سماءنا...تصاعد الدخان كان كثيفا والنيران تنفث سهامها من كل جانب....

تجمدت أطرافي وسكنت كالصخرة في مكاني....

ظهر شكل غريب مفزع وخلفه جيش من المخلوقات الغريبة، نفخ وزمجر أمامي ثم قال:

_ماذا تفعل يا سوميا في مملكتي...أنت تعلم أنّ بيننا اتفاق ولا يجوز لك أنْ تتجاوزه...

لقد قال "سوميا" ألم يراني، ثم أين هو ليخاطبه...ربما خلفي...لا أستطيع الالتفات فقد تجمدت كل اطرافي، إلى أنْ ظهر أخيرا وتقدم نحو ذلك الشيء المخيف ثم قال له

_اسمعني يا زعيم الجن الأحمر... أعلم أنّ بيننا اتفاق، لكن في الأمور الطارئة و العاجلة تزول كل تلك الاتفاقيات ويصبح التعاون بيننا واجب.

زمجر ذلك الشيء ثم أجابه

_تكلم ماذا تريد ؟؟

_عليكم بالمغادرة حتى أقوم بعملي.

قاطعه قائلا:

_لكنّي أحرس هذا الكنز منذ سنوات وهو من حقي و دافعت عنه من كل تدخلات الانس و الجن للاستيلاء عليه ...

_الوضع يختلف الآن...قلت لك عليك المغادرة و انتهى الأمر...

زمجر ذلك العفريت المخيف ثم اختفي ولم يترك سوى الدخان المتصاعد وراءه...

أشار إليّ سوميا بأنْ أعود إليهم لكنني لم أستطع الحركة فقال لي

_ما بالك أيّها الإنسي وقد تجمدت في مكانك هل أصبحت تخاف أشكالنا...ألم تعتاد إلى الآن؟؟

_لقد حدث الأمر بغتة و لم أستطع الاحتمال، أرجوك افعل شيئا فأطرافي تجمدت...

اقترب مني ثم نفث في وجهي فشعرت بتحسن...استطعت بعدها الحراك والعودة إلى السيارة.

اندهشوا من رؤيتي وأخبروني بأنهم رأوني وقد اختفيت فجأة بين الحشائش وبأنني لو تأخرت قليلا لذهبوا وتركوني.

أعادوني إلى المكتب لأجدهما (الرئيس والوزير) بانتظاري ما عدا ذلك الرجل ذو الوجه الأوروبي (السفير الفرنسي) فقد غادر قبل أنْ أذهب لتفحص المكان...

اندهش الوزير من سرعة التنفيذ حيث قال لي

_ما خطبك أيّها العرّاف لقد عدت مسرعا...

زال ذلك الارتباك ولم أعد كالسابق...أجبته بهدوء فقد كان سوميا حاضرا معنا وكنت أراه وهو يحوم حولنا...قلت له بارتياح

_لقد أرسلتموني إلى المكان الصحيح....

يوجد كنز هناك فعلا....

كنز روماني يحمل بعض الآثار كالنقود الرومانية القديمة مع السيوف والدروع الثمينة والنادرة كما أنّ هناك صندوق يحمل الذهب والمجوهرات...

اقترب مني الوزير وربّت على كتفي وهو يبتسم لي قائلا:

_أحسنت يا أيهم...

لاحظت أنّ لغة الخطاب معي قد تغيرت تدريجيا ففي البداية كنت مجرد ساحر وربما كان يقصد بذلك دجالا ثم تحولت إلى عرّاف حينما وافقت على الذهاب أمّا وقد وجدت الكنز فلا يصح مناداتي إلاّ باسمي وربما بعد قليل قد أصبح السيّد أيهم...

بادرته بابتسامة وقلت له:

_شكرا لك سيدي...نحن في خدمتكم...متى أردتم فسأقوم باستخراج الكنز...

فقاطعني قائلا

_نحن نريده الآن، فسيادة السفير ينتظر بأحرّ من الجمر فتلك الآثار ستكون لها قيمة في المتحف الفرنسي...

_ حسنا كما تريدون، سأقوم بجلبه الآن.

بهت من كلامي وقال:

_أوتستطيع فعل ذلك!!

_أجل و لم التعجب ؟

_لأننا أحضرنا عدة عرافين مثلك من كل الدول ولم يستطيعوا فعل شيء ...

_أنا لست كغيري...أنا أتقن عملي جيدا...إنْ أردت أحضرته لك الآن...هنا في المكتب حالا.

هنا استطعت أن أسمع صوت الرئيس فقد نطق أخيرا واستلم زمام الأمور حيث نهض من الكرسي واقترب مني قائلا:

_هيا يا سيد أيهم...أرنا مهارتك و ستحظى مني بأشياء كثيرة...

أحسست وكأنّي من سحرة فرعون عندما قال لهم فرعون ستكونون من المقربين...فقلت له

_لكي أحضره...أحتاج إلى غطاء كبير...أريده باللون الأسود إنْ أمكن ...

فقال لي:

_لك ذلك يا سيد أيهم...

أمر أحد الحراس الذّين كانوا على باب المكتب ليجلب ما طلبت...

ماهي إلاّ لحظات حتى أقبل وهو يحمل غطاء من القماش الصلب، أسود اللون كما أردت أو كما أراد سوميا...أمرتهم أن يبسطوه على الأرض ففعلوا ذلك ثم اقتربت منه وبدأت أتلو وأردّد بهمهمات غير مفهومة فبدأ الغطاء يصعد لوحده وسط اندهاش الجميع ثم أشرت لأحد الأعوان بأن يسحبه بقوة حين أشير له...

مرت لحظات انتظر إشارة سوميا لي كي آمر الحارس برفع الغطاء وما إنْ همس لي بإنهاء الأمر، حتى أشرت للحارس ليسحب الغطاء بقوة فبرز من تحته صندوق ضخم يلمع يسرّ الناظرين وسال على إثره لعاب الرئيس وجنوده...كان بجواره ما أخبرتهم به من سيوف ودروع ثمينة...

اقترب الرئيس مني وقال:

_فعلا أنت مذهل...
أنت من الآن ستكون لك مكانة بيننا...
اسمعني، أي مشكل يعترضك أخبر به السيد مأمون وسيقضي لك حاجتك...
أمر الحراس أنْ يوصلوني إلى المنزل...علمت بعد ذلك أنّ السيد مأمون قد أنقذني من بطش الوزير وما فعلته بابنه عندما أخبرهم بأنّي أملك قدرات مميزة لذلك عفا عني وتم استغلالي في هذا الأمر.
تنفست الصعداء وأحسست بارتياح بعد أن أكملت مهمتي بنجاح...اختليت في غرفتي لأرتاح فسمعت طرقا بالباب، خلته سوميا فتجاهلته، لكن الطرق تواصل ثم اتبعه صوت ابنتي تقول
_ابي...أيمكنني الدخول؟
_طبعا يمكنك الدخول دون استئذان يا صغيرتي، تفضلي.
اقتربت مني بوجهها الملائكي البريء تهمس لي لكنني لم اسمعها فقلت لها
_ما خطبك؟ تكلمي بوضوح...
أعادت الكرّة وأطالت الهمس مجددا لكنني لم اسمعها، فقلت لها بحدّة
_ما بالك تهمسين، تكلمي؟
أبعدت رأسها بغضب ثم قالت
_سارة مريضة ويجب أن نأخذها إلى الطبيب.
_ ولم تهمسين إليّ إذا؟
_لقد أوصتني بأن لا أخبرك...

أجابته مازحا

_هل أصبحت تتحدث معك؟

_أجل...دائما ما تخبرني بأنّها غير مرتاحة في هذا المنزل وتريد أنْ تأخذني معها إلى مكان أخر.

اتسعت عيناي بعد أن كانت مغلقة من أثر النعاس وقلت لها بانفعال

_هل تتحدث معك فعلا؟

اقتربت مني وعانقتني وهي تقول بصوت خافت

_اخفض صوتك فربما تسمعنا، لا أريدها أن تعلم بأنني أخبرتك بذلك...

ظننت بأنّها تمزح أو أنّها تتوهم ذلك فضممتها إليّ مداعبا إيّاها وأنا أقول لها مازحا وبصوت خافت

_حسنا...لن أخبرها بشيء، أعدك بذلك ...

_أبي إنّها مريضة...لذلك هي نائمة وأنا أريد أن ألعب معها...

_دعيها إذا تنام لترتاح...

_تعالى أبي، يجب أن تراها...

_ ندى...أريد أنْ أرتاح فأنا متعب للغاية...

أمسكت يدي وبدأت تسحبني بقوة وتقول

_هيا أبي أرجوك...

_ندى، اتركيني أنام قليلا فأنا متعب للغاية.

_هيا أرجوك...أبي...

_حسنا...اذهبي سألحق بك...

_لا قلت لك سنذهب الآن سويا...

مع إلحاحها وإصرارها، انصعت لأمرها ونهضت من على السرير وسرت معها إلى غرفتها، كانت الغرفة مظلمة فقلت لها

_ لم لا تتركين الأضواء مشتعلة، هل أصبحت لا تخافين بوجود صديقتك الجديدة؟

قاطعتني قائلة

_سارة لا ترغب بالأضواء مشتعلة، فدائما ما تطلب مني اطفاءها.

اندهشت من كلامها وانتابني الشكّ، لكن فضلت مواصلة المزاح معها فلا يمكن للدمية أن تتكلم، حيث اشعلت الإنارة وقلت

_أين هي سارة؟؟ فأنا لا أراها...

اقتربت من السرير وأزالت الغطاء من عليها فكان الأمر عاديا، نفس الدمية التي اشتريتها لها، مازلت كما هي لم تمزق ولم يحدث لها شيء، اعتقدت أنّها تقصد بمريضة أيّ أنها فقدت رأسها مثلا وتمزقت أو تغير شكلها لكنها ما زلت كما هي، جديدة وشعرها البلاستيكي الأصفر لم يتسخ بعد على الرغم أنّها لعبت بها خارجا بالأرجوحة.

اقتربت منها وتفحصتها وقلت لها

_إنّها بصحة جيدة فكيف تقولين أنّها مريضة.

أجابتني بعد أنْ حدقت بي وقد عقدت حاجبيها بانفعال ثم قالت:

_قلت لك أنّها مريضة وأنا لا أكذب، انظر إليها من الخلف...في ظهرها...

قلبتها وتفحصت ظهرها فوجدت بعض الشقوق في فستانها المزين الذي يكسوها وهناك بعض الدبابيس المغروسة في ذلك الشق.

ابتسمت إليها أحاول إرضاءها قائلا:

_عفوا صغيرتي لم أنتبه إلى ذلك، يالا حماقتي يبدو أنّ سارة تتألم الآن لكني سأصلح الأمر وسأنزع عنها هذه الدبابيس اللعينة.

قاطعتني قائلة

_انزعها برفق يا أبي كي لا تؤلمها أرجوك.

_حاضر، سأنزعها دون أن تشعر بشيء.

بدأت أسحبها ببطء كي تشعر بأنّي أحاول أنْ لا أؤلمها حتى أخرجتها الواحدة تلو الأخرى...

وضعتها في جيبي كي أخذها إلى مكان لا تجدها فيه فتؤذي نفسها باللعب بهذه الأشياء الحادة حيث قلت لها

_ها قد عادت سارة كما كانت وزال عنها الألم وتماثلت للشفاء الآن، انظري إليها لقد تغير لون وجهها وأصبحت بصحة جيدة.

ابتسمت إليّ وقالت "شكرا لك أبي" ثم احتضنتها وهي تربت عليها وتداعبها كأنها تواسيها.

خرجت فتركتها على السرير ولحقت بي وهي تقول

انتظر أبي، أريد أنْ أقول لك شيئا.

التفت إليها قائلا:

_ماذا الآن...أريد أنْ أرتاح أنا أيضا مثل سارة....

اقتربت مني ثم قالت

_انزل للأسفل، أريد أن أهمس لك بشيء في أذنك.

أجبتها بغضب

_أووووف...ما حكاية هذا الهمس اليوم؟

_هيا أبي...فقط لكيلا تسمعنا.

انحنيت على ركبتي وقربت أذني من فمها فقالت

_لقد حاولت أن أنزع عنها تلك الدبابيس لكنها رفضت، أرجوك أبي لا تخبرها أنّي طلبت منك ذلك...

فأجابتها مازحا

_حسنا صغيرتي، هل تريدين شيئا اخر؟

طبعت قبلة على خدي وقالت:

_أنا أحبك أبي...

فاحتضنتها قائلا:

_ وأنا كذلك يا صغيرتي...هيا اذهبي والعبي مع سارة الآن لانّ والدك يريد أن يرتاح ...

_حسنا أبي...

ذهبت إلى غرفتها وعدت أنا إلى سريري لأكمل النوم، لكنّي مازلت قلقا من كلامها وقلت في نفسي "ربما يجب أن أكون حذرا ومهتما أكثر بابنتي" فأخذت الهاتف واتصلت بالسكرتيرة وانتظرت ردها حتى قالت

_ألووو... مرحبا سيد أيهم.

_مرحبا سلمى (السكرتيرة) كيف حالك؟

_بخير والحمد لله.

_أحتاج خادمة في المنزل لتعتني بابنتي، أيمكن أنْ تتدبري الأمر؟

_حسنا سأتصل بمكتب التشغيل وأعطيهم عنوان منزلك وسيتصلون بك إنْ كان هناك فتاة تطلب العمل...

_شكرا يا سلمى، أنا ممتن لك.

_العفو...إنْ احتجت شيئا آخر، اتصل بي فأنا في الخدمة.

_شكرا مرة أخرى...إلى اللقاء

أقفلت الخط وعدت إلى النوم وسط ضجيج أفكاري المتواصل الذي لا يتوقف.

أقبل يوم جديد ولم أرغب بالذهاب إلى العمل وفضلت البقاء للاعتناء بابنتي وتخصيص بعض الوقت لها.

أعددت الطعام وجلست نتناول أنا وندى في غرفة الجلوس ونشاهد التلفاز وتتعالى ضحكاتنا حينما نشاهد مشهدا مضحكا...أحيانا تضع يديها الصغيرتين على عينيها حين ترى شيئا لا يعجبها.

بينما نحن كذلك إذْ سمعت طرقا بالباب فذهبت لأفتح، لأجدها فتاة في العقد الثالث من عمرها تبتسم لي فأجبتها بامتعاض

_خيرا، هل يمكنني مساعدتك في شيء؟

فقالت لي والابتسامة تعلو وجهها

_ لقد اتصل بي مكتب التشغيل وأخبروني بأن صاحب هذا العنوان يطلب خادمة أليس كذلك؟

_آه...لقد نسيت، هل أنت الخادمة؟

_أجل، لم أنت مندهش؟

_ في الحقيقة، هيأتك لا توحي بذلك، أنت جميلة وتبدين صغيرة في السن خلت إنّهم سيرسلون إليّ عجوزا...

_تقصد أنني لا أصلح لهذا العمل.

_لا...لا أقصد ذلك، وأعتذر أن كنت انتقصت من شخصك ولكني اعتدت أن تكون الخادمة كبيرة في السن.

ابتسمت لي وقالت:

_لا تغرّك المظاهر فأنا أيضا حين رأيت شكل المنزل من الخارج اعتقدت أني أخطأت العنوان...

أجبتها مازحا

_معك حق، منزلي لا يوحي بأنّي من الأثرياء لكني عن قريب سأشتري منزلا جديدا يليق بمقامك يا آنسة؟

مدت يدها لتصافحني قائلة:

_عفوا لقد نسيت، أنا اسمي سارة...

اندهشت من اسمها وقلت لها

_ماذا !!

تغير لون وجهها وقالت

_لم انت مندهش؟، ألم تسمع باسمي من قبل؟

_لا...هناك فقط تشابه في الأسماء، فابنتي أيضا لها دمية تحمل نفس الاسم "سارة"

ضحكت حتى تعالى صوتها وقالت:

_عذرا، أنا آسفة، لكن ما دخلي أنا؟

أجبتها محاولا تدارك الأمر

_لا شيء فسارة اسم جميل، المهم لا يجب أن يظل حديثنا أمام الباب، تفضلي بالدخول.

دخلنا بعد أنْ انتهى سجالنا ونحن نتبادل الحديث حول المهام المنزلية التي ستقوم بها فاعترضتنا ندى وقد عقدت حاجبيها وبدا عليها الغضب وهي تقول لي

_من هذه يا أبي؟

ابتسمت إليها قائلا:

_إنها سارة، الخادمة، ألن ترحبي بها وتلقي التحية؟

_من سارة؟ أنا لا أحبها ولا أريدها أن تبقى معنا.

قطعت حديثنا سيرانا بشكل زوجتي طبعا وتقدمت نحو ابنتي قائلة:

_ما بك ياصغيرتي غاضبة، فهي ستكون معك دائما وستعتادين عليها وستصبحان صديقتين.

ثم نظرت إليّ وواصلت كلامها

_أليس كذلك يا عزيزي؟

أطلت النظر إليها وقد انتابني الغضب من ظهورها المفاجئ وودت لو أنّ سوميا يزيحها عن ناظري ولولا تعلق ابنتي بها، فهي تشبه أمها، لكنت أمرته بان يلغي مهمتها لتغرب عن وجهي لكن الآن، لا أستطيع قول شيء سوى أنني أجبتها بامتعاض

_اجل بالتأكيد ستعتاد عليها، هيا صغيرتي لما لا تجلبين دميتك الجميلة لتراها.

لم تجبني وقد بدا على وجهها الانفعال والرفض لكن الخادمة اقتربت منها وقالت لها وهي تداعبها

_ أنا أيضا اسمي سارة فهل هي جميلة مثلي؟

نظرت إليها وقالت:

_دميتي أجمل منك.

ضحكت من كلامها وأجابتها وهي تمازحها

_حسنا لم لا تحضريها لأراها فربما تكون هي أجمل حقا.

ذهبت ندى مسرعة إلى غرفتها فهي عنيدة ولا تقبل الهزيمة مثل والدها. أحضرتها وهي تحتضنها بعد أن رتبت لها ثيابها ومشطت لها شعرها واقتربت بها إلى الخادمة وقالت لها

_انظري إليها، إنها أجمل منك بكثير.

نظرت إليها سارة (الخادمة) وهي تبتسم ثم قالت:

_ممم...فعلا إنّها أجمل مني، أيمكنني أنْ أحملها قليلا؟.

_ربما لا تريد. انتظري حتى أسالها أولا

_حسنا اسأليها ..

وضعت ندى أذنها على فم الدمية وكأنها تسمع حديثها وهي تهمس لها وأحيانا تبتسم وأحيانا تهزّ رأسها حتى قاطعتها سارة (الخادمة)وهي تمزح معها قائلة

_ممم...ماذا اخبرتك؟ هل وافقت على طلبي؟

أومأت برأسها ثم قالت لها:

_لا بأس يمكنك حملها، لقد وافقت بعد أن أقنعتها بالقبول.

_ممم...جيد، شكرا لك.

اقتربت منها وقبّلتها وأخذت منها الدمية

_إنّها جميلة فعلا...كما أنّها مميزة فهي تحمل اسمي.

ابتسمت لها ندى قائلة:

_هل أعجبتك؟

_طبعا فهي جميلة جدا.

اقتربت منها ندى ثم قالت:

_هل ترغبين أن تلعبي معنا بالأرجوحة؟

ضحكت سارة (الخادمة) وقالت

_أنا أحب اللعب بالأرجوحة أيضا. لكن أين هي؟

_إنّها بالخارج، تعالي لأريك إيّاها.

خرجتا سويا وقد استطاعت بذكائها فعلا أنْ تكسب ودها.

لقد ارتحت فعلا عندما رأيتهما معا وهي سعيدة بصديقتها الإنسية الجديدة.

زال عني بعض التوتر إلى أن قطع تفكيري اتصال هاتفي. نظرت، إنّه السيد مأمون فأجبته قائلا:

_أهلا بالسيد مأمون كيف حالك؟

خاطبني وقد بدا قلقا

_بخير، هل ما زلت على اتفاقنا؟

_أي اتفاق؟

_ما خطبك أيّها العرّاف، هل نسيت؟

وضعت يدي على جبهتي وقلت له

_اعذرني يا سيد مأمون فانشغالي بالعمل في المكتب، أنساني كل شيء، أتقصد الانتخابات، اليس كذلك؟

_أجل، لا تقلي لي أنك نسيت الأمر كليا فغدا يوم الاقتراع.

_لا لم أنسك، فقد أخبرتك سابقا، بأن لا تقلق من الموضوع.

_حسنا أنتظرك غدا هناك، عند صندوق الاقتراع، فلا تنس.

_كن مطمئنا سأسبقك إلى هناك...

تعالت ضحكاته مازحا

إياك أنْ تصوت لغيري يا سيد أيهم.

_بالتأكيد، سأكون أوّل الداعمين لك في التصويت.

_حسنا سأتركك الآن إلى اللقاء

بعد أن أقفلت الخط وجدت سيرانا تحدق بي فسألتها قائلا

_أين سوميا؟؟ احتاجه في أمر الانتخابات...

_لا تقلق فالأكيد أنه يراقبك دون أن تشعر، يمكنك الذهاب ستجده أمامك هناك.

_حسنا سأخرج الآن لأرى تلك الخادمة لأطلعها على بعض الأمور.

سرت خطوات ثم عدت إليها قائلا:

_اسمعيني يا سيرانا، إياك أن تفعلي شيئا للخادمة أو تؤذيها عند غيابي، لا تبقي في المنزل، تحججي بأنك تعملين طوال اليوم أو أي شيء، المهم لا أريد أن يحدث شيء بينكما.

ضحكت وتحول وجهها إلى القبيح ثم قالت

_هل أعجبتك من النظرة الأولى لذلك أنت خائف عليها.

أجبتها بسخرية

_فعلا عقلك قبيح كمنظرك. ما رأيك لو تغادرين الآن فلا أريد أن يتغير مزاجي فأنا سعيد الآن بسعادة ابنتي بصديقتها الجديدة.

_غريب أمركم أنتم الإنس تتناسلون وتنجبون بدافع ذاك الذي يسكن قلوبكم كما تدعون وتسمونه الحب.

_ليس لديك أطفال لتشعري بذلك.

ضحكت من قولي وأجابتني بتهجم

_أنت تمزح ياهذا، نحن نتناسل مثلكم وننجب الأطفال ولكننا لا نكنّ ذلك الحب المفرط لما ننجب.

قاطعتها قائلا:

_أنتم مثل الأفاعي تبيضون وتتركون.

_لا وإنّما ما ننجبه يكون ذا مسؤولية منذ صغره، يولد يتكلم ويأكل، ولا يستحق كل هذه العناية.

_ أتقصدين أنّكم لا تهتمون بأطفالكم...

_ أجل...

أجبتها وقد قطعت ما كا نت تريد قوله

_هل لك أب؟

_لا...لا أدري فكل المسؤولية تكون على عاتق الأم، فالرجال في عالمنا لا يهتمون.

_لذلك أنتم تطلبون اسم الأم من دون الأب.

_ماذا تقصد؟

_عند لقائي بتلك الفنانة "ميادة" طلبت اسم الأم فقط

_ ممم...أجل لأن النسب يكون للأم ففي عالمنا الوالد غير معلوم.

_وهل هذا الكلام ينطبق على باقي أطياف وأنواع الجن.

_لا فهذا الكلام يميزنا نحن الشياطين فقط وباقي الجن هو مثلكم بالضبط.

_ممم...إذا لا داعي للشرح لك عن شعوري تجاه ابنتي فأنتِ لن تفهمي ذلك.

تعالت ضحكاتها بسخرية ثم قالت

_اذهب والعب مع ابنتك أيها الإنسي، فموضوع الحب ذلك يخصك وحدك.

خرجت متجاهلا ضحكاتها الهستيرية وهي تضج أركان المنزل وأحيانا تتحرك وتسقط بعض الأشياء بمفردها من أثر صداها.

وجدت سارة (الخادمة) تلعب مع ابنتي وحمدت الله أنني إنسي، متأملا تلك العلاقة التي لم تبدأ سوى منذ بضع دقائق لكنها متينة ومنسجمة ومعطرة بعبق الإنسانية المفعمة بالحب ليس مثل، ثم التفت لأرى إن كانت سيرانا ورائي أو لا، وأكملت كلامي، ليس مثل تلك الشيطانة التي لا تشعر بشيء سوى كمية الكره التي في قلبها إن كانت تملكه أصلا.

صرت أدفع بابنتي الأرجوحة بعد أن أحسست بأن سارة (الخادمة) قد تعبت من الدفع وسط ضحكات ندى وهي تحدّث دميتها.

ومع انشغالي باللعب لم أسمع الضجيج الذي أصدره الطرق العنيف على الباب الحديدي الخارجي للمنزل حتى نبهتني سارة (الخادمة) بأن هناك من يكاد يكسر الباب من شدة الدفع فذهبت لأنظر متشجعا فقد طمأنني الرئيس عند استخراج ذلك الكنز له، بأنه بإمكاني الاستنجاد به إن احتجته. ومن أقوى سلطة من الرئيس في هذا البلد.

فتحت الباب وقد أخرجت كتلة من السباب من فمي لشدة غضبي، تبعثرت في الأجواء لتتلقاها الآذان الصاغية.

نظرت لأجد أمامي مجموعة من الملثمين وكأنهم من فرقة خاصة لمكافحة الارهاب مد ججين بالأسلحة، أصبحت لا أشعر بكتفي فأظنه تورم عندما سحبني أحدهم بقوة متجاهلا صيحاتي وأنا اقول له:

_ما الأمر ماذا تريدون...من أنتم؟

لقد اقتصر ردّهم على كلمة واحدة

_اصمت ولا تتكلم.

لم أستطع الحراك فقد ووضعوا يدي إلى الوراء ثم سحبوني إلى السيارة وساروا بي إلى المكان ذاته الذي كنت فيه بالأمس، إلى منزل الرئيس لكن هذه المرة أدخلوني من الباب الأمامي، لابد أن أحدا من العائلة يطلبني ومن أكثر سلطة من الرئيس ليفعل بي هذا فحتى استدعاؤه لي كان بطريقة محترمة، إنها زوجة الرئيس أكيد، فسلطتها أكبر منه.

وصلت إلى غرفة الجلوس، فعلا إنها هي، وجدتها تنتظرني مع مجموعة من النسوة، أيعقل أنه هو من أخبرها بأمري؟ ماذا تقول يا أيهم؟؟ وهل يخفى عليها شيء؟؟ فهي الآمرة الناهية في القصر.

المهم أنهم وضعوني وسط النسوة مع ضجيج ضحكاتهن لرؤيتي وكأنهن يشاهدن مهرجا أمامهن... بادرتني بابتسامتها بسخرية، فتأكد أنها هي من خلال ملامحها المصطنعة التي تحاول تزيين وجهها القبيح، مستعينة بعدة عمليات تجميل.

قطعت شرودي وتفكيري بكيفية خروجي من هذا المأزق قائلة:

_ما خطبك ترتجف أيّها العرّاف ألم يعاملك الحرّاس الذين أحضروك معاملة حسنة؟

ما إن أكملت كلامها حتى صدرت ضحكات متتابعة من النسوة اللاتي كن معها مما زاد توتري ولم أعد أدري ما أقول، فأعادت قولها

_لقد ذاع صيتك أيّها العرّاف وأصبحت مشهورا لذلك جلبتك لأرى بعضا من مهارتك.

صديقتي تريد أن تقرأ لها ما يخبىء لها مستقبلها ثم تكمل لبقية صديقاتي الأخريات من ثمة سأقول لك ماذا أريد أنا بالضّبط.

أجبتها بتلعثم

_ هل لي بكأس من الماء فقد اصابني العطش من شدة المعاملة الحسنة التي عاملني بها الأعوان الذين أرسلتهم في طلبي.

ضحكت من كلامي ثم قالت

_قم واجلس هناك أولا، وسنحضر لك ما تريد.

نهضت متثاقلا لأجد بجانبي اريكة فخمة، ارتميت عليها متألما من الاوجاع حتى احضرت إليّ الخادمة كاسا من الماء فشربته دفعة واحدة...

نظرت إليّ (زوجة الرئيس) قائلة

_ هل تريد المزيد؟

أجبتها بعد أن تنفست الصعداء

_ لا شكرا

_ حسنا إذا، ابدأ عملك.

أومأت برأسي قائلا:

_ بمن سأبدأ؟

ضحكت إحداهن لي بسخرية ثم قالت

_ ابدأ بي أنا...تعال، هيا...

ثم مدت يدها لي، ظنّا منها أنّي سأقرأ لها الكف، لكني قلت لها

_ أنا لا أقرأ الكف ولا أستعمل تلك الطريقة القديمة.

فضحكت من قولي ثم قالت:

_ هيا إذا، أرني ماهي طريقتك

اقتربت منها وجلست بجانبها ثم قلت

_قولي لي ما اسمك وما اسم أمك أولا

ابتسمت وقالت

_انا اسمي فاتن وأمي اسمها فاطمة

_حسنا دعيني أختلي بنفسي قليلا

كالعادة وضعت يدي على رأسي واغمضت عيني وبدأت اهمس بصوت غير مسموع "سوميا أين أنت يا سوميا" إلى أن بدأت تصلني المعلومات وهو يهمس لي بأخبارها فقلت لها

_ أنتِ فاتن ابنة أحمد طاهر رجل الأعمال المعروف أأستطيع أن أزف لك خبرا سيئا، وإنْ كنت لا ترغبين فسأتراجع عن ذلك.

تغيرت ملامح وجهها قائلة

_أخبرني ماذا رأيت؟

التفت إلى زوجة الرئيس وقلت

_ أأستطيع اخبارها؟

فأجابتني بغضب

_أخبرها ولماذا أحضرناك إلى هنا إذا.

ظللت أنظر إلى الفتاة لبرهة ثم قلت:

_حسنا كما تريدين، أنتِ مريضة بسرطان في مرحلة متأخرة.

قاطعتني متهجمة

_ ماذا تخرّف أيّها الدجّال، أنا أقوم بفحص طبي كل ستة أشهر وسليمة معافاة والحمد لله.

نهضت واتجهت صوب زوجة الرئيس ثم واصلت كلامها

_قلت لك يا عمتي، أنا لا أؤمن بهذه الخرافات منذ البداية وكنت أجرب للاستمتاع فقط لكن تأكد لي الآن أنه ليس سوى دجل وشعوذة.

"لقد نادتها عمتي يعني أنها ابنة اخيها أي أنها من أقاربها...لما لم تقل لي ذلك ياسوميا، لم دائما تضعني في ورطة ودائما ما تخبرني بمعلومات ناقصة يا ويلي ماذا ستفعل بي الآن؟"

حدقت بي (زوجة الرئيس) مطولا ثم قالت لي

_ أصحيح ما قلته أيّها العرّاف؟

حاولت أن اكذب وأحاول الهرب بالموضوع لأنجو بنفسي لكني أحسست وكأن شيئا سيطر على جسدي وصرت أتحدث دون أن أشعر حيث أجبتها قائلا:

_أنا متأكد من كل كلامي ويمكنها أن تذهب الآن لإجراء التحاليل لتتبين ذلك إن أرادت.

نهضت من مكانها وقد انتفضت مخاطبة ابنة أخيها

_اذهبي الآن للقيام بالتحاليل فورا

_لكن عمتي

_قلت لك اذهبي.

بعد أن غادرت الفتاة وهي تتأفف وتحدق بي بغضب، صاحت في بقية النسوة وأمرتهن بأن يغادرن جميعا وظللت أنا وهي بمفردنا.

"ماذا ستفعل بي ياترى " ضجيج صدع رأسي وانعدمت الرؤية وصرت أتخيل بأنّها ستأمر الحّراس ليأخذوني إلى مقصلة الاعدام فورا لكنها ابتسمت في وجهي وقالت:

_يبدو أنك عرّاف جيد كما سمعت عنك.

ارتحت لكلامها لكن سرعان ما تغير لون وجهي عندما قالت

_وبما أنك عرّاف جيد، سأطلب منك أمرا ستقوم به.

تلعثمت وقلت

_حسنا سأقوم بأي شيء تطلبين

فضحكت وقالت:

_ألا تريد أنْ تعرف ما هو؟ أولا، فربما ترفض.

_وكيف أستطيع أن أرفض طلبك؟

_حسنا سأختصر لك الأمر، لدى أحد اقاربي قصر فخم وقد رغبت بامتلاكه لأنه يعجبني، في مكان رائع في الشمال الغربي لكني لا أستطيع أخذه منهم بالقوة بسبب القرابة التي تجمعنا فهل لديك طريقة ليصبح ذلك القصر ملكي لكن دون إيذائهم.

_نعم، أستطيع فعل ذلك.

قاطعتني قائلة:

_كما قلت لك، دون إيذائهم، أفهمت.

_حسنا لا تقلقي وكوني مطمئنة، فقط امدّيني بالعنوان واتركي الباقي عليّا.

بعد أن كتبت لي العنوان أمرت الحرّاس أن يعيدوني إلى المنزل وأوصتهم بأن يعاملوني معاملة خاصة.

وصلت لأجد ابنتي هي وسارة(الخادمة) ينتظرانني أمام الباب، بدا من ملامحهم علامات القلق عليّ حيث اندفعت ندى نحوي لمعانقتي فحاولت أن أخفف عنها قائلا:

_لا تخافي ياصغيرتي، كنت في إطار عمل وها قد عدت.

أجابتني باكية..

_من هؤلاء يا أبي ولم أخذوك هكذا؟

مسحت الدموع من عينيها وقلت

_إنهم أصدقائي، وذهبت معهم لمساعدتهم في أمر ما.

_إن كانوا أصدقاءك فلم عاملوك بكل تلك القسوة؟

قطعت حديثنا سارة (الخادمة) قائلة:

_ هيا يا صديقتي ندى لقد تركنا الدمية وحيدة على الأرجوحة، ربما هي خائفة الآن.

ابتسمت لها ندى وعادتا سويا إلى الداخل وتبعتهما وأنا أفكر في أمر ذلك المنزل فظهر سوميا أمامي فجأة وقال لي

_اتبعني إلى غرفتك أيّها الانسي...

الانتخابات

بعد أن أخبرت الخادمة بأنْ تهتم بابنتي، ذهبت لأختلي بنفسي في غرفتي حيث وجدت سوميا بانتظاري قائلا:

_ ما خطبك أيّها الانسي، أصبحت ترتجف دائما كلما مهدت لك الطريق، ألا تثق بي أم ماذا؟

_أنت دائما ما تضعني في موقف صعب وتريد مني بأن لا أخاف، ولا أرتبك، ثم لم تزودني دوما بمعلومات ناقصة؟

قاطعني وهو يقول:

_ أفهم جيدا ما أقول، أنا لا أقوم بشيء إلا لغاية ما، لذلك عليك أن تنصاع لأوامري ولا تقلق فلن يحدث لك شيء.

_ حسنا، ماذا فعلت بشأن الانتخابات؟

_اذهب غدا وارتدي بدلة رسمية، وسأخبرك بما ستفعله هناك.

_ حسنا والمنزل؟

_ ذلك المنزل أمره بسيط، سأرسل بعضا من خدمي ليرهبوا ساكنيه ولن يستطيعوا المكوث فيها أكثر من يوم وسيبيعونه لها غصبا عنهم.

ضحكت من كلامه وقلت له

_أكيد، فوجوه أتباعك المخيفة لا يتحملها إلا شخص شجاع مثلي.

_إذا كانت العفاريت لا تخيفك فلماذا كنت ترتجف عند لقاء تلك المرأة؟

أجبته ضاحكا

_أحيانا شياطين الإنس مخيفة أكثر من شياطين الجن.

_إذا لا ترتبك مرة أخرى أمامهم فكل من يسير في طريقنا هو من أتباع الشياطين لذلك لا تخف فمهما بلغت قوتهم فهم ضعفاء أمامي.

قاطعته قائلا:

_ليس مثل ذلك الشيخ، فهو قوي بهالته تلك.

زمجر منفعلا

_ذلك لم يعد أمره يهمّنا، نفّذ ما أمرتك به وكفى.

اختفى، يبدو أن كلامي لم يعجبه، أو أنه أصبح يشعر بالغضب حتى من سماع اسم ذلك الشيخ.

المهم أنني قضيت يومي مع ابنتي واستمتعت معها ونسيت بعضا من همومي وأحزاني، فكل همّ يزول أمام رؤية ضحكاتها، ومهما غصت في هذا المستنقع، سأظلّ إنسانا يملك شعورا وخاصة حينما يكون ذلك الشعور موجه لأغلى ما أملك.

ارتديت أجمل بدلة أملكها، حتى أن سارة(الخادمة) قابلتني بابتسامة قائلة:

_أصبحت أكثر وسامة بعد ارتداءك لهذه البدلة الانيقة... انتظر لأعدّل لك ربطة العنق فهي مائلة قليلا.

اقتربت مني وفكتها من جديد ثم أعادت ربطها بشكلها الصحيح، تذكرت زوجتي التي قتلتها بيدي هاتين وكيف كنت أعيش معها بمرارة وربما هو الأمر الأساسي الذي جعلني أسلك هذا الطريق، نسيت نفسي فتنهدت فقالت لي

_هل آلمتك ربطة العنق؟

_لا، أنا لست معتادا عليها ولست معتادا على هذا اللباس الرسمي.

ابتسمت لي وقالت:

_ يجب أن تعتاد عليها يا سيد أيهم فلقد أصبحت مشهورا الآن وستكون هذه البدلة زيك الرسمي في الإجتماعات والمناسبات.

_لا تقلقي من هذه الناحية فانا أتأقلم مع كل الأحداث وأتماشى معها.

كنت منسجما في الحديث معها وأحسست بشعور غريب تجاهها وبدأت فكرة التقرب منها أمرا وارد، لكني تذكرت ابنتي وسيرانا التي تكون زوجتي أو تقوم بدورها، فماذا سأفعل بشأنهما...ربما سوميا يستطيع فعل شيء...المهم لن استبق الأحداث الآن...سأترك الأمر للأقدار...

كنت أحدث نفسي فأحسست بأنها أصبحت تتمايل أمامي وتكاد تسقط فأمسكتها وقلت لها

_ما بك؟ هل أنتِ بخير؟

_ لا مجرد دوار بسيط وسيزول فلا تقلق.

_ إن أردت، سآخذك إلى المستشفى الآن.

_ لا تقلق فالأمر بسيط ولا يتطلب ذهابي إلى الطبيب، سأعدّ بعضا من عصير الليمون وإشربه وسأتحسن.

_ حسنا كما تريدين، لكن اتصلي بي إنْ شعرتِ بشيء، سأذهب الآن.

_ حسنا، إلى اللقاء.

غادرت المنزل لأجد سيارة فخمة بانتظاري، لقد كان السيد مأمون... ابتسم لي ثم ناولني المفاتيح وقال:

_ سيد أيهم، هذه مفاجأتي لك، هل أعجبتك؟

وضعت يدي على المقود ونظرت حولي منبهرا بفخامتها وقلت له

_إنها جميلة جدا، فكيف لا تعجبني.

أجابني ضاحكا:

_ انطلق إذا لتنجز عملك...إلى مكتب الاقتراع.

لم يتوقف عن حديثه المتواصل بضحكاته المتعالية وهو يحدثني عن مغامراته السخيفة وأحيانا يسألني عن علاقتي بالرئيس وبأنّ له الفضل في ذلك ولم يتوقف عن شكر نفسه واسترساله في الحديث رغم تجاهلي له فقد كنت مستمتعا بقيادة السيارة الجديدة حتى وصلنا إلى المدرسة وهناك وجدنا جموع الناس تصطفّ للإدلاء بأصواتها.

نزلت من السيارة وذهبت إلى الحمام بطلب من سوميا متجاهلا نداءاته... أشرت له بأنّي سآتي، ولينتظرني بالداخل.

اختليت بنفسي في الحمام وسط طقوس قمت بها بأمر من سوميا...

عدت بعدها إلى الداخل لأكمل تعاويذي ومهامي هناك.

وجدت السيد مأمون ينتظرني، فطلبت منه أن يكلّم أحد الموظفين المهتمين بأمر الانتخابات بأن يسمح لي بالتصويت قبل الجميع، فتم ذلك وكنت أول الناخبين...

تلوت أشياء غريبة انا أصلا لم أفهمها على ورقة الانتخاب ثم وضعتها في الصندوق لتنجز مهمتها وغادرت بعد أن طمأنت السيد مأمون.

استقّلّيت سيارتي الجديدة والسعادة تغمرني...صوت الأغاني ترطب الأجواء وأنا أتمايل برأسي على أنغامها حتى وصلت إلى مكتبي، قابلت سلمى(السكرتيرة) بابتسامة لم تعهدها مني إلاّ نادرا

_صباح الخير سلمى...

سرت خطوات ثم عدت إليها قائلا:

_ شكرا لك على تنفيذك السريع لطلبي بخصوص الخادمة.

ابتسمت لي وهي تقول:

_لا شكر على واجب سيد أيهم، فأنا في خدمتك دائما.

نظرت إلى قاعة الاستقبال فلم أجد أحدا فقلت لها

_ ألا يوجد زبائن اليوم أم ماذا؟

_ هناك زبون بانتظارك في المكتب.

بادرتها بابتسامة ثم قلت لها

_جميل، إذا عليّ أن أذهب لأراه...الأكيد أنه قد انتظر كثيرا.

_ أجل، منذ الصباح الباكر.

فتحت الباب وسميت الله قبل الدخول فأنا المعالج بالقرآن ويجب أن أكون وفق المبادئ الصحيحة، قلت قبل أن أنظر في وجه الزبون..

_ السلام عليكم سيدي، أعتذر على التأخير وجعلكم تنتظرون.
أجابني وبدا الصوت مألوفا لدي
_يبدو أنه سبب عظيم استوجب تأخيرك، ربما تطلب منك تنفيذ عدة طقوس لسوميا.
اتسعت عيناي وحدقت به مطولا، وصرت لا أقوى على الكلام، لقد كان الشيخ عبد الرحمن، ما الذي أتى به إلى هنا؟ وكيف يعرف بأمر سوميا؟؟
أكمل حديثه بعد ما رأى مني الذهول والصدمة قائلا:
_كيف سارت الانتخابات ببركة عملك أنت وذاك العفريت.
تلعثمت ولم أعرف ما أقوله سوى أنني أحسست بثقل في قدمي فجلست على الأريكة ببطء ثم واصل هو كلامه
_ سمعت أنك أصبحت عرافا مشهورا ووصلت شهرتك إلى رؤوس السلطة لذلك أحببت أن أجرب قدراتك أيها الساحر...
نظر إلى الشهادة المعلقة في جدار المكتب وحدّق فيها مليّا ثم قال
_عفوا لقد أخطأت، الروحاني المعالج بالقرآن.
أجبته بتلعثم
_ماذا تريد أيها الشيخ؟
حدق بي بغضب وقد احمرت عيناه وتغير لون وجهه من شدة الانفعال قائلا:
_ ألا تعلم لما جئت، جئت لأخبرك عن فظاعة أعمالك ايّها العرّاف، لعلك تتعظ وتخاف الله.
قلت له بصوت خافت وقد تصبب العرق من جبيني

_ وماذا فعلت لك أنا يا شيخ حتى تكن لي كل هذا الحقد؟

_لقد قتلتم الفتاة المسكينة، ماتت بسببكم.

انتفضت من مكاني وزال تلعثمي وقلت له متسائلا

_أي فتاة؟؟

_لقد انتحرت الفتاة بعدما فرقتم بينها وبين زوجها.

عدت إلى هدوئي مجيبا

_وما دخلي أنا، إن كان والده لا يرغب بها، ثم أنت شيخ ومطّلع على الدين، فكيف يكون زواج دون موافقة الوالدين؟ قلي كيف؟ أنه زواج باطل من البداية، هما اخطآ من البداية، فلما تحملني أنا مسؤولية موتها.

_أصبحت تفهم في الدين الآن، ثم حتى وإن كان كلامك صحيحا، لقد أخطآ بزواجهما دون رضاء الأهل فهل نستمر نحن في الخطأ معهما لتكون النتيجة وخيمة.

قاطعته قائلا:

_أنا لا دخل لي، اذهب وتحدث مع السيد حمدي فهو معنيّ بالموضوع.

نهض من مكانه ثم اقترب مني وقال:

_ استفق ياهذا، فعفريتك ذاك سيأخذك إلى الهاوية، عد إلى رشدك وتب إلى الله قبل أن تموت وحينها لا ينفع الندم.

_عم تتحدث يا شيخ؟ أيّ عفريت؟

_أ نا أعلم كل شيء وأعلم أسرار عالمكم فلقد كنت ساحرا مثلك لكني استفقت من غفلتي وتبت والحمد لله.

نهضت من على الاريكة ثم جلست على كرسي المكتب مدّعيا الهدوء وأنا أقول:

_ في الحقيقة أنا لا أعلم عما تتحدث؟، على العموم انتهى حديثي معك، إن كنت لا تريد شيئا فلا تضيّع لي وقتي فلدي زبائن ينتظرون بالخارج...

حدّق بي مطولا ثم غادر المكتب وجعلني وسط كابوس من الأفكار.

لم يخبرني سوميا بأنّ هذا الشيخ يعرفه... وهل وقع له مثلي قبل أن يتوب؟ وهل بقي الأيام الست في ذلك الكهف وذاق الويلات مثلي...

ربما، من يدري...

وسط ضجيج تفكيري المتواصل لم أسمع رنين هاتفي إلاّ عندما أخبرتني السكرتيرة حين دخلت لتسألني عن إمكانية إدخال الزبون التالي لأني كنت مشغولا وسط كابوس من الخيال.

نظرت إلى شاشة الهاتف، إنها سارة (الخادمة) تتصل، فزعت وخفت أن تكون ندى قد وقع لها مكروه.

أجبت دون ان أتبين من المتصل

_ألو سارة، هل ابنتي بخير؟

أجابني صوت رجل لا أعرفه

_ابنتك بخير يا سيد أيهم...لا تقلق، إنها معي.

تشنجت من كلامه وأجبته بغضب

_ومن أنت؟ وماذا تفعل ابنتي عندك؟

_اهدأ يا سيد أيهم حتى تفهم الموضوع جيدا، أنا جارك، جاءتني ابنتك تبكي إلى منزلي وقالت بأنّ صديقتها قد أغمي عليها وهي مريضة، فذهبت معها إلى منزلك لأنظر ما الذي حصل، فوجدت خادمتك ملقاة على الأرض فحملتها إلى المستشفى.

_حسنا...حسنا سآتي حالا.

خرجت مسرعا لا أكاد أرى أمامي...

لم أسمع حتى نداءات السكرتيرة لي، قدت سيارتي مسرعا إلى المستشفى ولم أهدأ الاّ حين رأيت ندى وهي تبكي فاحتضتها وقلت لها

_ لا تبكي يا عزيزتي، لا تقلقي ها أنا هنا.

_أبي، أين أمي، لما تركتني وحيدة.

لا أملك الإجابة ولم أستطع الرد سوى أنني قلت لها

_أمك مشغولة بعض الشيء، ألا يكفيك أن اكون أنا معك.

قاطعتني وهي تبكي قائلة:

_ابي، صديقتي سارة (الخادمة) مريضة.

_ لا تقلقي يا صغيرتي، الطبيب يهتم الآن بها وستعود اليك بإذن الله

_ هل ستعود حقا، ربما ستموت.

نظرت إليها وقد تفاجأت من كلامها فقلت لها

_من قال لك ذلك؟

_لقد أخبرتني سارة (الدمية)...

انتابني الشك فعلا، فهي مصرّة على أنّ دميتها تتكلم، لكن قطع تفكيري قدوم الرجل الذي أحضر الخادمة قائلا:

_مرحبا سيد أيهم كيف حالك؟

_مرحبا، أعتذر لك عن حدّة كلامي معك على الهاتف وأشكرك على اهتمامك بابنتي.

ابتسم لي وقال:

_ العفو، فأنت جاري وابنتك هي ابنتي، لقد كنت مع الدكتور وقال بأن المريضة في حالة غيبوبة الآن ولا ندري متى ستصحو.

وضعت يدي على رأسي وقد أحسست وكأنّ دوارا أصابني حتى قال لي:

_هل لديها أقارب لتتّصل بهم وتعلمهم بالأمر.

لم أستطع الكلام سوى انني أومأت براسي بالنفي فواصل حديثه

_حسنا، عليّ الذهاب الآن، لقد تأخرت عن العمل، اتصل بي إن احتجت أي شيء.

قلت له مترنحا

_ شكرا لك.

بعد أن غادر، جلست على الكرسي واستندت بظهري على الحائط لأرتاح قليلا وكانت ندى في حضني، نمت ولم استفق إلاّ على وكز إحدى الممرضات التي طلبت مني المغادرة وأنهم سيتصلون بي إن حصل أي شيء.

عدت وأنا مهموم أفكر وأحيانا يصيح بي أحدهم بأن أسرع أو أترك الطريق وسط موجة من السباب، لكني لم أكن أدرك ذلك لأني كنت أهذي في داخلي، بدأت أشعر وكأن الأمر مدبر، مرض الخادمة وتطابق اسمها مع دمية ابنتي، ثم لماذا أنا اخترت هذا الاسم؟ هل يكون لسوميا

علاقة بهذا الأمر؟ أفرك عيني وأعود واتفق مع نفسي بأنها مجرد تهيؤات مني لا أكثر، فسوميا خادمي ولا يمكن أن يفعل ذلك.

تذكرت الشيخ فقلت ربما أنه يخطط لأمر ما فاتصلت بالسيد مأمون

_الو السيد مأمون، أيمكن أن نلتقي الآن؟

_أهلا بالسيد أيهم، كيف حالك؟

_ بخير...بخير، أيمكنك أن تأتي إلى منزلي الآن لأني لا أستطيع ترك ابنتي في هذا الظرف الطارئ.

أجابني باندهاش

_وما الذي حصل؟

_الخادمة مريضة وهي في المستشفى، وكما تعلم فابنتي تعلّقت بها ومتأثرة لمرضها ولا أستطيع أن أتركها وحدها.

_حسنا لا بأس، سآتي اليك حالا.

حملت ابنتي في حضني وهي ما زلت نائمة إلى غرفتها فأخذت الدمية منها لأضعها جانبا كي تكمل نومها بهدوء وما إن أمسكتها حتى أحسست بألم شديد في إصبعي كتمته بصعوبة كي لا أوقظها، وكأنّ نحلة لسعتني، تفحصت الدمية وقلبتها لأرى ظهرها فوجدت نفس الدبابيس مغروسة في نفس الشقوق من فستانها الذي يكسوها، ذهبت مسرعا إلى غرفتي، فتحت درج خزانتي لأرى، فوجدت تلك الدبابيس مازالت في مكانها، أوف ما الذي يحصل؟ من أين حصلت ندى على كل هذه الدبابيس ولما ستغرسها في دميتها وهي تحبها وتخاف عليها؟، اشتعل رأسي بالتفكير

وبدأت اشك في سوميا فعلا وسرت أردد تعاويذي لاستدعائه، لكن قطع طقوسي طرق الباب، إنه السيد مأمون أكيد، ذهبت مسرعا لفتح الباب

_أهلا بالسيد مأمون، كيف حالك؟

_ بخير والحمد لله.

_ تفضل بالدخول فلدي موضوع هام أود إخبارك به.

حدّق في مطولا بعد أن جلس على الأريكة ثم قال

_ خيرا إن شاءالله، ما الأمر؟

_لقد زارني الشيخ عبد الرحمن اليوم في المكتب وهو يتوعد، وأحسست من كلامه بأنه قد قام بأمر ما وإلاّ من أين حصل على تلك جرأة لكي يزورني ويهددني في مكتبي.

_ عن أي شيخ تتحدث؟

_ أنسيت، الشيخ الذي أتى حين كنا في المطعم يهددك وادّعى بأنك تحيّالت على الرجل الذي كان معه.

ضحك من قولي ثم قال:

_آه...تقصد ذلك الشيخ الأرعن، انسي أمره ولا تهتم فحين سأكسب الانتخابات وأصبح رئيسا للبلدية سوف أنظف الشوارع من تلك القوارض التي تلوث المنطقة.

ظهر سوميا فجأة وقطع حديثنا قائلا:

_أخبر هذا الأرعن أنّ الرجل قد اشتكى عليه وربما يزجّون به في السجن وسيخسر الانتخابات إنْ لم يتحرك...

لاحظ السيد مأمون ارتباكي من كلام سوميا فقال لي

_ما بك هل هناك أمر أخر قد حصل ولم تخبرني به...

تنهدت وتنفست الصعداء وقلت له

_أجل يا سيد مأمون.

غيّر من جلسته ثم حدق بي وكله آذان صاغية

_أخبرني ماذا هناك؟

_اليوم اشتكى عليك ذلك الرجل واتهمك بالتحايّل وربما سيصلك غدا استدعاء من المحكمة.

ابتسم لي وقال:

_لا يملك أيّ أدلة ضدي، فليفعل ما يشاء.

بعد أن همس لي سوميا مرة أخرى أجبته قائلاك:

_لا بل يملك.

انتفض واندهش من كلامي ثم قال:

_وما أدراك أنت؟

ضحكت من قوله

_أنسيت بأني عرّاف.

تغير لون وجهه وارتبك ثم نهض من مكانه وهو يقول:

_ يجب أن اذهب الآن، فأن كان كلامك صحيح، فيجب أن أسرع لأتولى الأمر قبل أن...

قاطعت كلامه قائلا:

_ لا تقلق...دع الأمر لي، أريد أن ألقن ذلك الشيخ درسا لن ينساه، أريد أن أعلمه طرق اللعب الصحيحة، امنحني بعض الوقت فقط.

_ أنا أثق بك سيد أيهم، إن احتجت أي شيء اتصل بي.

_حسنا، كن مطمئنا.

بعد أن غادر، استلمت هاتفي واتصلت بميادة وأنا أقول في نفسي،" كنت ترغبين بمساعدة وردّ الجميل وها قد احتجت إليك الآن".

_ألووو أيهم، كيف حالك يارجل، من تلك الواقعة التي حصلت معك ليلتها لم أرك، لا تقلق لقد تحدثت أنا وسيد مأمون مع عماد ابن الوزير وحاولنا تهدئته.

_انسي الموضوع، أحتاجك في أمر اخر

_تفضل، إن كنت أستطيع المساعدة فلما لا.

_هل أنت في المنزل الآن، لان الموضوع طويل يحتاج مني الشرح ولا يمكن الحديث على الهاتف...

_ أنا في المنزل، يمكنك المجيء.

بعد أن أغلقت الخط، صرت انظر حولي أبحث عن "سوميا" إلى أن ظهرت أمامي سيرانا

_أين كنت؟ أحتاجك لتبقي في المنزل مع ابنتي، لأني سأغادر، لدي أمر يجب أن اقوم به ولن اتأخر.

غادرت وتركتها وهي تضج المكان بضحكاتها الهستيرية، ولا زلت لا أعلم كيف اترك هذه الشيطانة لتعتني بابنتي ربما لأنني ما زلت أثق في سوميا، حقيقة لم اعد افهم تصرفاتي.

وصلت لأجد ميادة في انتظاري

_خيرا مراد، لقد قلقت عليك، ما هذا الأمر المستعجل الذي جعلك تطلب مقابلتي بهذه السرعة.

دفعتها إلى الداخل بعد أن أمسكتها من يدها قائلا:

_دعينا ندخل إلى الداخل لنكمل حديثنا على انفراد...

تبعتني إلى غرفة الجلوس ومازالت تردد نفس سؤالها...جلست ثم قلت لها

_ بصراحة، هل تساعديني ميادة؟

اندهشت من تكرار سؤالي ثم قالت

_ما خطبك أيهم، قلت لك، إن كان بمقدوري فعل شيء، فلم لا...

توقفت عن الكلام لبرهة ثم قلت:

_بما إنك فنانة فالأكيد أنك جربت التمثيل لأنّ أغلب الفنانين هذه الأيّام أصبحنا نراهم على شاشات السينما أكثر من المسارح.

ضحكت من كلامي وقالت:

_ في الحقيقة، لقد شاركت في دور بسيط في فيلم أجنبي، لا بأس بي، أجيد الأدوار لأن في هذا الوسط عليك أن تكون ممثلا جيدا لتصل إلى مبتغاك، لكن أخبرني لم السؤال؟

_لديك مهمة ستقومين بها تتطلب منك تمثيل دور الصحفي الجيد كي تنجحي في المهمة.

قاطعتني وهي تضحك

_صحفية، ولما أقوم بذلك؟

_اجلسي أولا حتى تستوعبي حديثي، لكن أود أن يظلّ الأمر بيننا لأنه يجرنا جميعا إلى التهلكة

_حسنا، لا عليك، أخبرني فقط، لأنني بدأت أتوتر من كلامك.

بعد أن أخذت نفسا عميقا قلت لها

_أريدك أن تذهبي إلى شخص ما، سأعطيك عنوانه وستخبرينه بأنك صحفية وتقومين بتقرير عن الفساد والأعمال المشبوهة في البلاد، وبأنك قد علمت حسب معلوماتك الخاص عن أمر الشكاية التي قام بها ضد السيد مأمون وتريدين مساعدة منه في فضحه.

قاطعتني قائلة:

_حسنا، ما هو دوري أنا بالضبط؟

_الأمر بسيط، عندما تتقنين الدور جيدا سيثق بك أكيد، وسيسلّمك كل الوثائق التي يملكها والتي من شأنها ان تورّط السيد مأمون.

_امم...ماذا إن لم يسلمني الأوراق؟

_حتى لو لم يقنعه تمثيلك الجيد، فسأقنعه أنا بطرقي الخاص، فلا تقلقي، أنتِ انجزي ما أمرتك به واتركي الباقي لي، هل فهمت؟

ابتسمت لي قائلة:

_حسنا سيد أيهم اعتبر الأمر منجزا.

_جيد، إذا انتظر خبرا جيدا منك، أتركك الآن عليّ الذهاب.

_لما أنت مستعجل؟، لم لا تبقى؟، فالليلة سأقيم حفلة وسيحضر أغلب الشخصيات المرموقة وربما يستمتعون بمهاراتك مرة أخرى.

قاطعتها ضاحكا

_لا أرجوك، لا أريد أن أتورط مرة أخرى، إلى اللقاء، انتظر اتصالك.

بادلتني الضحكات وهي تقول

_حسنا كما تريد، إلى اللقاء...

عدت إلى المنزل وأنا أغني وأترنح كالسكّير، فتحت الباب لأجد ندى تنتظرني وقد استيقظت من النوم على غير عادتها ووجهها متغير، بدا على ملامحها الغضب والانفعال فحاولت تسليتها قائلا:

_لم صغيرتي لا نخرج بالسيارة ونستمتع.

_لا أريد يا أبي.

_ما بك صغيرتي، من أغضبك؟

_أين سارة؟، لقد اشتقت إليها.

قبّلتها وعانقتها كي أخفف عنها قائلا:

_ لا تقلقي صغيرتي، ستشفى سارة وستعود إلينا، أعدك بذلك...

_ لا أظن يا أبي، فسارة ستموت ولن تعود، هذا ما أخبرتني به دميتي.

أحسست بأن الأمر أصبح زاد عن حدّه ولا بد أن أعرف السبب فقلت لها :

_أين دميتك تلك؟

_إنها نائمة في غرفتي ولا تريد النهوض.

ذهبت مسرعا إلى غرفتها، حملت تلك الدمية بين يديّ وبدأت أهزها بعنف وأنا أخاطبها كالمجنون

_تكلمي أيتها اللعينة، لما تخرسين حين أكون موجودا، تكلمي أيتها القبيحة.

رميتها على الأرض وبدأت أركلها برجلي حتى دخلت ندى وهي تبكي وتترجاني بأن أترك دميتها ولكن كنت غاضبا فدفعتها فسقطت على الأرض وهي تبكي فأحسست بأنّ قلبي وقع معها على الأرض حملتها في حضني، أحاول أن أراضيها لتتوقف عن البكاء ولم تهدأ حتى اعتذرت من دميتها كالأبله ظللت ليلة كاملة وأنا منكبّ في اصلاح ما أتلفته ثم نمت معها على سريرها في غرفتها ووضعت تلك الدمية بيننا إلى أن حلّ الصباح.

استيقظت على رنين هاتفي المزعج، نظرت فوجدته رقما لا أعرفه، تجاهلته في البداية لكنه لم يتوقف عن الرنين فأجبت غاضبا

_ما هذا الازعاج في هذا الصباح الباكر.

أجابني صوت رقيق، تبين لي لاحقا بأنها الممرضة التي في المستشفى حيث الخادمة سارة.

_أعتذر عن الازعاج سيدِ أيهم، لكن لابد أن أعلمك بأن المريضة التي في المستشفى "سارة" قد ماتت وأتى اقاربها وأخذوها.

_ماذا...ماذا تقولين؟

_أجل يا سيد أيهم...انا آسفة، لم نستطع إنقاذها.

سقط الهاتف من يدي وأنا انظر إلى تلك الدمية تارة وإلى ابنتي تارة أخرى "ما الذي يحصل يا أيهم، ما حكاية هذه الدمية؟، هل لها علاقة بموت الخادمة؟"

ذهبت إلى الحمام...جلست في حوض الاستحمام وفتحت المياه، وانسابت على جسدي رغم برودتها إلاّ أنّي لم أشعر بها فلا أسمع إلاّ ضجيج المفرقعات التي يصدرها تفكيري المتواصل.

صرت أسمع حسيس سوميا وهو يحوم حولي ويقول

_ ما خطبك أيها الإنسي؟، ألهذه الدرجة تعلّقت بتلك الخادمة.

انتفضت بعد أن أفقت وقد أحسست ببرودة المياه، فأطلقت شهيقا قويا وقلت له

_ ما الذي يحصل يا سوميا؟، ما حكاية تلك الدمية أهي من ألاعيبك؟

أجابني بعد ان توقف عن الدوران حولي وتجسّد أمامي.

_ عم تتحدث؟، يبدو أن موت الخادمة قد جعلك تهذي.

نهضت من حوض الاستحمام وسترت نفسي بالمنشفة بعد أن أزلت عني أثر البلل وقلت له بغضب.

_ تلك الدمية اللعينة، إنها تتحدث!!

قاطعني ضحكه الهستيري وتوقفت عن الكلام منتظرا رده

_ ابنتك مازالت صغيرة، فلا تصدق كل ما تقول

_ إنها ذكية وتدرك ما تقول ولا تكذب.

زمجر بغضب

_قلت لك إنّها مجرد دمية ولا دخل لها بموت خادمتك، هيّا توقف عن هذا الهراء واذهب إلى مكتبك، ينتظرك خبر سَارٌ هناك.

لم أشعر بالارتياح من كلامه، لكنني في نهاية الأمر صدقته كالأبله، وتركت ابنتي مع سيرانا لتعتني بها وكأنّ شيئا لم يكن.

ذهبت إلى المكتب ولم أرغب بقبول أي أحد منتظرا ميادة لتخبرني ما حصل معها إلى أنْ اتصلت بي السكرتيرة

_ سيد أيهم، هناك امرأة قالت بانها تُدعَى ميادة تريد مقابلتك.

قاطعتها مندهشا

_أدخليها بسرعة.

لم ألق عليها التحية ولم تصدر مني حتى ابتسامة إلا حين وضعت الأوراق على مكتبي قائلة

_ما رأيك في سرعة التنفيذ سيد أيهم، هل يمكن أنْ أكون ممثلة جيدة؟

صدرت مني قهقهة لم أعهدها في نفسي من قبل وقلت لها

_ عمل رائع، أحسنت.

ابتسمت لي وقالت

_ هل يمكن أن تقبل دعوتي الليلة على العشاء بعد هذا المجهود الذي قمت به من أجلك.

ابتسمت إليها قائلا:

_طبعا، هذا من دواعي سروري...

_حسنا إذا، انتظرك في المساء، سأذهب الآن فلديّ أعمال أقوم بها، إلى اللقاء.

غادرت المكتب متأخرًا يومها بسبب الاستقبال المتواصل للناس وشكاويهم، تعددت مشاكلهم حتى أصبحت اختلق الأعذار وأتجاهل البعض، فهمّي الوحيد هو كسب الأموال لا غير.

بدأ الأمر يرهقني وصرت أفكر في أخذ استراحة طويلة والرحيل مع ابنتي إلى أي مكان أستطيع فيه نسيان كل شيء حتى وجه تلك القبيحة سيرانا التي استقبلتني قائلة

_ أين كنت؟، ابنتك تنتظرك

_أين هي الآن؟

_ لقد انتظرتك طويلا فتعبت ونامت، هي الآن في غرفتها.

_ جيّد أنها نامت، لأني سأغيّر ملابسي وأخرج، سأعود متأخرا الليلة، فاعتني بابنتي وإنْ استطعت أن تتخلصي من تلك الدمية فسأكون ممتنا لك

_ لماذا، بم أزعجتك تلك الدمية؟

_لا أعلم بالضبط، لكني أشعر بأنّها دمية ملعونة.

_كيف؟ ما الذي دفعك لتقول ذلك؟

_إنها تحدّث ابنتي.

ضحكت من كلامي وقالت:

_لا تقلق، أنا أراقبها جيدا فإنْ حَصل أي شيء سأخبرك.

_حسنا سأذهب الآن.

بعد أن تعطّرت ولبست بدلتي الرسمية وأمعنت النّظر في المرآة، فالأكيد ستكون حفلة مثل تلك الليلة، ويجب أن أكون متأنقا، قُدت سيارتي الفخمة حتى وصلت إلى منزل ميادة التي استقبلتني كعادتها بابتسامة ودخلنا سويًا إلى قاعة الجلوس، لم يكن هناك سوى السيد حمدي والسيد مأمون، اندهشت فكنت أتوقع عكس ذلك فقالت لي

_أحببت أنْ نكون بمفردنا، كي نستمتع دون أن يعكّر أحد مزاجنا.

_جيد، وأنا أفضّل ذلك أيضًا

استقبلني السيد مأمون وعانقني على غير عادته قائلا:

_ آه...يا أيهم، ليتك كنت حاضرا حين وبّخه القاضي منتظرا منه أن يقدّم له أي دليل، لقد كان ينظر يمنة ويسرة كالأبله يبحث عن الصحفية ميادة لتساعده، أما محاميه فلم يستطع قول شيء، سوى أنّه طلب تأخير جلسة الحكم، بصراحة يا أيهم أنت ذكي جدا، من أين جئت بهذه الفكرة.

ابتسمت له وقلت

_أمتلك عدة مواهب، ربما مع الوقت ستكتشف أشياء أخرى عني.

تعالت ضحكاته وهو يقول

_أنت دائما تبهرنا يا سيد أيهم.

فجأة صَاح بنا السيد حمدي يأمُرنا بأنْ نلتحق به على الطّاولة ونترك المزاح بعد العشاء، لقد كانت مملوءة بشتّى أصناف الأكل والشَراب. نظرت إليه بعد أنْ اخترت مكانا بجانب ميادة وقلت له:

_ما أخبار الانتخابات يا سيد مأمون؟

_جيدة، فكل المؤشرات إلى الآن تقول بأني سأفوز.

قطع حديثنا السيد حمدي مجددا

_ما خطبكم؟ نحن هنا لنستمتع، أجِّلوا الحديث عن العمل في وقت لاحق ثم نظر إلى ميادة وقال:

_هيا ميادة، أطربينا بصوتك الجميل.

فعلا أطرَبَتنا ميادة بصوتها الجَميل وعاقرنا الخمر كما تعاقر الزوجة بعلها وأصبحنا نتراقص ونتمايل في جنون على وقع أنغام خدرتنا كما تخدر هذه الدنيا بني البشر وتحجب عنهم حقيقتها "حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" وكنّا نَظنُّ أنّنا قَد بلَغْنا مَقصِدنا وأنّنا قد مَلكنا الدنيا ولن يوقفنا أحد، سَخِر بنا الشيطان وجعلنا نرقص على أمل كاذب، أمل لطالمَا تمسّك به جبَابرة الأرض "ذَرهم يَأكلوا ويتَمتَّعوا ويُلْهِهم الأمل فسَوف يَعْلَمُون".

قطع مُتْعتنا صوت خشن بنبرة التّهْدِيد، توقفنا عن الرّقص والمُجون وكادت تنقطع معه أنفَا سُنا، كان ذلك الشيخ الذي يدعى عبد الرحمن والرجل الذي تقدم بشِكاية ضدّ السيد مأمون.

_ويلكم من عقاب الله تحتفلون على مصائب الناس وقهرهم...

تغير وجه السيد مأمون وبدأ يتمتم بغضب ثم أخذ هاتفه ليتصل بأحدهم، ربما الشرطة، أمّا السيد حمدي فتقدم نحوه ليهدئ الأجواء قائلا:

_ تفضل يا شيخ عبد الرحمن واجلس لنتحدث بروية دون تعصب وانفعال.

أما الرجل الآخر فقد تقدم نحو ميادة يحاول إيذاءها لكني دفعته وتصديت له وهو يصيح

_إنها متحيله مثله، ادّعت بأنها صحفية وأخذت مني كل الأدلة والوثائق التي تدينه.

جذبه الشيخ عبد الرحمن من يده وقال له:

_ توقف، دعني أتولى الأمر.

لم يدم جدالنا طويلا حيث حضرت الشرطة بعد ان طلبهم السيد مأمون وأخذوهما إلى مركز الشرطة، غضب السيد حمدي من فعله وجذبه نحوه قائلا:

_ماذا فعلت، لما استدعيت الشرطة، أتريد أن يتفاقم الموضوع.

أجابه ضاحكا:

_لا تقلق يا سيد حمدي، فقد احببت أن أؤدبهم قليلا، سيقضّون الليلة في المنفردة وسيطلقون صراحهم غدا صباحا.

_لم يكن داع لذلك فهو شيخ كبير في السن وهو رجل طيب وله أفضال كبيرة عليّ.

صاح به قائلا:

_ما بك يا رجل لا تدع هؤلاء يفسدون متعتنا.

بعد ليلة حافلة من المجون والسكر عدت إلى منزلي مترنحا أغني وحدي كالمجنون، سرت إلى غرفة ندى، كانت ملاكي نائمة وهي تحتضن دميتها، أخذتها منها ورميتها على الأرض، لم أكن أدرك ما أفعل، أتحدّث معها وهي نائمة

"صغيرتي...ندى...أنا أعتذر منك...والدك ساحر لعين قتل أمك...قتل أعز ما تملكين...تركك مع شيطانة لتعتني بك بدل عنها..."

أتوقف عن الكلام وأنا أهتز وقد اختلط كلامي بالنحيب وأحيانا الطم وجهي في غضب، ثم أعود أهذي مرة أخرى

"أنا آسف يا صغيرتي...جعلتك تتحملين عواقب فعلي وأدخلتك إلى هذا العالم القذر...أنا انانى جشع فسامحيني أرجوك."

ظللت أترنح وأهذي بكلام غير مفهوم حتى غلبني النوم فنمت بجانبها...

أفقت ورأسي يكاد ينفجر من الألم، ضوضاء في داخلي، جحيم ملتهب، أصوات تتدافع بداخلي تريد الخروج والصياح، ضجيج كالمحركات، لم أستطع النهوض بسبب الآلام التي أشعر بها، لازالت ندى نائمة بجانبي على غير عادتها، فلطالما ما كانت توقظني وتداعب وجهي بيديها الصغيرتين كل صباح وهي تقول لي "صباح الخيريا أبي"

أخذت دميتها ووضعتها في حضنها وقلت مدعيا بأنها هي من تتحدث وقد غيرت صوتي "ندى...هيا استيقظي...أنا سارة وأريد أن العب بالأرجوحة"

لم تجبني وسط سكون مخيف، ملامح وجهها اأشعرتني برهبة، هززتها بقوة وأنا أصيح "ندى...ندى" لا...لا يمكن...مستحيل...انهضي صغيرتي...لن اذهب إلى أي مكان اليوم، سأظل معك...سنلعب أنا وأنت وسارة على تلك الأرجوحة اللعينة...أرجوك لا تتركيني...

لم تجبني رغم صياحي...حملتها وأنا أبكي...وضعتها في السيارة...كنت أرتجف من التوتر، لم أستطع وضع مفتاح التشغيل في مكانه وسط موجة من السباب... أقود السيارة وأضرب بيدي على المقود وأحدث نفسي كالمجنون."بسرعة...بسرعة يا أيهم"

وصلت إلى المستشفى، دخلت وأنا أحملها وأصيح...أخذتها مني الممرضة وأدخلتها إلى الطبيب ليفحصها، جلست وأنا منهار أهذي ولا أعرف بما أتلفظ به حتى ظهرت أمامي سيرانا وهي تضحك وتقول

_ما بك ايها الإنسي؟؟ ماخطبك؟؟ لا تخف...لن يحدث لها شيء فلا تقلق فلقد اهتممت بها جيدا.

تجاهلت كلامها وحديثها حين خرج الطبيب ووجهه متغير وكأنه حزين وقال لي:

_ للأسف سيد أيهم... لقد تأخرت...ابنتك ميتة منذ ست ساعات، سنأخذها الآن إلى القسم التشريح لتحديد سبب موتها.

صرت أترنح وأصيح وأقول بصوت عال "لا تقل إنها ماتت يا دكتور...لا يمكن، كيف يحصل هذا؟ هي ما زالت صغيرة على الموت...ما زالت لم تر شيئا من هذه الدنيا...مستحيل...كيف سأكمل حياتي وابنتي ليست معي؟ لقد قمت بكل شيء من أجلها.

قطعت كلامي سيرانا وهي تضحك وتقول:

_أنت لم تفعل شيئا لأحد...أنت لم تفعل شيئا إلاّ في سبيل مصلحتك...لقد حاولت أن آخذها معي لكنها كانت ترفض...

نظرت إليها بغضب واندفعت نحوها محاولا ضربها وكلما حاولت إمساكها تختفي من أمامي وسط ضحكاتها المتتالية، كنت ألحقها كالمجنون أحاول ضربها، جميع من في المستشفى أصبح ينظر إليّ وأنا أجري وراءها وأتحدث لوحدي، إلى أن تجمع حولي الممرضون وأمسكوا بي وأخذوني بالقوة وأنا أصيح...

حقنوني بمهدّئ ولم أستفق إلاّ على أصوات أناس من حولي.
فتحت عيني لأراهم بوضوح، كلهم من أقاربي الذين قطعت صلتي بهم بأمر من سوميا...وجوه أتذكرها جيدا وأشخاص لا أعلم سوى أنها تبدو من معارفي...
كانت الجنازة مهيبة، كيف لا!! فأنا العرّاف المشهور الذي وصلت شهرته إلى قصر الرئيس، كنت في أول الصف أتقبل العزاء وأنا أنتحب وأتمتم بكلمات شوق إلى ابنتي حتى صافحني الشيخ عبد الرحمن وهمس لي قائلا" لقد حذّرتك يا أيهم من أنه سيأتي يوم وينقلب عليك عملك...تب إلى الله قبل فوات الأوان...
اندهشت من وجوده فبعد كل الذي فعلته به مازال يقدم لي نصائحه، "أي قلب تملكه يا شيخي"
كان أثر تلك الكلمة على نفسيتي كبيرا فمازال أثر صداه في أذني إلى الآن.
عدت إلى منزلي وأنا أفكر في كلام الشيخ وفوجئت بوجود سيارة سوداء تشبه تلك التي أخذتني إلى منزل الرئيس، وما إن رأوني حتى اندفعوا نحوي وأمسكوني وجروني إلى داخلها دون أي مقاومة مني فلقد كنت غاضبا من نفسي وكنت أردد طيلة الطريق "أنا أستحق ذلك...أنا أستحق ذلك"
رموني أمام زوجة الرئيس وكان معها رجل آخر لم أره من قبل علمت بعدها أنه أخوها، اندفع نحوي وأمسك بي من رقبتي بقوة وهو يقول:
_بما أنك علمت بمرض ابنتي قبل أن يعلم الأطباء بذلك، فأنك تستطيع علاجها.
ابتسمت إليه بسخرية قائلا:

_أنا اسف، لقد اعتزلت، فلم أعد عرّافا...

نظر إليّ بغضب وقال:

_ستعالجها غصبا عنك، أفهمت.

جرني الحراس إلى غرفتها وثم وضعوني أمامها على السرير، كانت شاحبة الوجه وهي تحتضر، ابتسمت لهم وقلت

_قلت لكم بأني لم أعد عرّافا، لقد اعتزلت.

انهالوا عليّ بالضرب بقوة وأنا أضحك كالمجنون حتى أغمي عليّ، وحين استيقظت وجدت نفسي مكبلا على كرسي في غرفة مظلمة

سمعت بعدها صرير الباب وهو يفتح، دخل اثنان من الحراس وخاطبني أحدهما

_هل عدت إلى رشدك أيها العرّاف؟

أجبته بصوت متقطع

_ قلت لك لم أعد عرّافا

صاح به زميله ساخرا

_أمهله يا صديقي قليلا من الوقت كي يرتاح، يجب أن يغسل وجهه الأول كي يصحو...

ثم أخذ سطلا من الماء البارد وسكبه على وجهي بالكامل، فارتعشت وصحت بغضب

_أهذا كل ما تملكون، أنا أستحق أكثر من هذا، أليس لديكم أداة أخرى لتعذيبي أكثر فأكثر، أريد أن أنال أكثر مما أستحق.

تواصل حبسي في تلك الغرفة أياما لا أدرى كم عددها ونلت فيها شتى أنواع الضرب والتعذيب حتى أصبحت أتحدث مع نفسي كالمجنون، كان سوميا يحوم حولي ويحدثني ويقول: لي وهو يزمجر بغضب "ما بك أيها الإنسي...ما الذي تفعله...أخبرهم بأنك تستطيع علاجها...أنا من تسببت بمرضها وأستطيع معالجتها...هيا أنقذ نفسك"

لكني عاهدت نفسي وعاهدت ابنتي حين دفنتها بيدي في القبر بأني اعتزلت هذا العالم الذي تسبب بموتك مهما حصل...لم تعد الحياة تهمني...فلقد تلاشت كل أحلامي بموت أعز ما أملك...

بعد ان استمرّ تعذيبي لأيام ولم أرضخ لطلبهم حملوني ورموني أمام منزلي، ظللت ساعات ملقى على الارض حتى تفطن لي أحد الجيران وحملني إلى الداخل واعتنى بي لأيام إلى أن عادت عافيتي وكنت أصيح في وجهه كلما أقبل يتفقدني "لما أنقذتني...لم لم تتركني أموت"

إلى أن زارني يوما وبرفقته الشيخ عبد الرحمن، بكيت لرؤيته ولم أستطع الكلام، ابتسم لي وقال:

_أنت قوي يا أيهم...وتستطيع التغلب على أحزانك...يجب أن لا تفكر في الماضي وتنظر إلى المستقبل...هيا أيها القوي...طريق الله وصراطه ينتظرك...ما عليك إلاّ أن تسلك طريق الحق وتتمسك به...

ثم تلا عليّ من كتاب الله آيات هزت أركاني وبعثت في الأمل.

مرت الليالي، ولم أذق فيها طعم النوم، فالخروج من هذا العالم ليس بالأمر السهل، جنّد سوميا كل أعوانه لإخافتي محاولا إرغامي على العودة إليه.

أتذكر ليلتها كنت قابعا في غرفتي وحدي بعد أن أكملت صلاتي جلست على ذلك الكرسي الهزاز الذي أصبح اهتزازه يريح أعصابي وأحيانا أمرّ بتلك اللحظة التي أتذكر فيها ابنتي وأسترجع فيها الذكريات وتنهمر معها الدموع ففوجئت بسماع صوتها مرة تقول لي:

_أبي...لقد عدت يا أبي

في البداية تجاهلت ما أسمع لكن مسامعي التقطت نفس الكلام وقد تكرر، نظرت لأجد ابنتي أمامي تحمل دميتها وهي تبتسم لي، إنها هي فعلا بشعرها الأسود الطويل وعينيها الواسعتين وهي ترتدي فستانها الذي زيّن بصور الورود التي تحبها، لم أصدّق ما يحدث فأعادت كلامها

_ما بك يا أبي ألم تشتق إلى ابنتك؟

بدأت أرتجف وعيناي يملؤها الدمع ولم أستطع مسك نفسي عن البكاء، اندفعت نحوها وحضنتها بقوة وكنت أقبلها وأقول

_صغيرتي...عدت لأبيك...اه...كم اشتقت اليك؟

كانت تضحك وتواصل ضحكها حتى تغير صوتها إلى صوت خشن قبيح، نظرت إلى وجهها فإذا بها تحولت كالمسخ، دفعتها وتراجعت إلى الوراء وأنا أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فأصبحت تصيح وتقول لي

_أنا من قتلت ابنتك أيها الإنسي...لطالما حاولت أن تصبح ملكي لكنها رفضت، أنا أيها الإنسي...سيرانا...ابنة إبليس...أنا من يبكي الأطفال عند

الولادة...أنا من أقتل الأرواح الصغيرة في الأرحام...أنا من أكره إناثكم أيها الإنسي وأمقت ذلك الحب الذي تتواصلون به مع بعضكم...أنا سيرانا من قتلت ابنتك وخادمتك الحمقاء...

تسمرت في مكاني عندما كانت تلك الدمية تسير على قدميها أمامي ثم نظرت إلي وهي تضحك وقالت لي

_ أنا سارة...لماذا ضربتني وأنا صديقة ابنتك...

فجأة ظهرت من وراءها ابنتي ندى مجددا وعلامات الغضب بادية من ملامح وجهها وقالت وهي تنظر إليّ

_إنّها مجرد دمية، لما غرست تلك المسامير اللعينة في ظهرها.

تغيرت ملامح وجهها من غضب إلى ضحك هستيري وقد تحول معه تدريجيا شكل وجهها إلى عجوز قبيحة عيناها محمرتان وهي تقهقه وتقول:

_ اعذرني أيّها الإنسي أنا من وضعت تلك المسامير في ظهر دمية ابنتك أنا من اخترت اسمها "سارة" لأني أعلم مسبقا عن طريق أتباعي الذي يسترقون السمع بأنّ تلك الإنسية سيكون قدرها معك كخادمة وكلما وضعت دبوسا في ظهرها كلما ا زداد مرضها

تنفجر بالضحك وتواصل كلامها

_أيّها الأحمق...أنا من كنت أكلم ابنتك...لقد قتلتها بعد أنْ رفضت أن تكون لي...

أجبتها بغضب

_ أيتها اللعينة...أنت وسوميا كنتما تتلاعبان بي...

تحول شكلها إلى شكل سوميا وتغير صوتها قائلا:

_لقد حذرتك أيّها الإنسي أن الخروج من هذا العالم ليس بالأمر السهل ولن تنقذك صلاتك تلك منا...

تمالكت نفسي وبدأت أردد الأذان بصوت عال فهو النداء الذي يفر منه الشيطان كما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم...اختفى واختفت معه كل تلك التهيّؤات والكوابيس واستطعت أن أنام ليلتها.

وفي الصباح ذهبت إلى الشيخ عبد الرحمن، استأذنته بالحديث معه بعد الصلاة ففرح بوجودي في المسجد وقال لي:

_ مرحبا بك في طريق الحق الصحيح يا بني

_بصراحة، لقد أرهقني التفكير المتواصل وأريد الإجابة عن بعض الأسئلة.

ابتسم لي وقال:

_تفضل يا بني، اسأل ما شئت

_عندما قدمت إلى مكتبي يومها، قلت لي بأن سوميا سيأخذني إلى الهاوية، فكيف علمت بأمره؟

صمت برهة ثم أجابني

_أنا يا أيهم كنت ساحرا مثلك ولمدة تزيد عن ثلاثين سنة ولقد تجبرت وفعلت أمورا لا تصدق وفرقت بين أناس وسحرت أناسا وأمرضت أناسا...كنت أصغر منك حين دخلت هذا العالم...كانت البداية مجرد مزاح مع الأصدقاء عندما وجدنا كتابا يتحدث عن هذه الأمور، بدأت

الحكاية كحب استطلاع أو اكتشاف ثم تحول الأمر إلى رغبة في تحقيق أهداف زرعها الشيطان في نفوسنا ثم إلى حقد وكره...

قاطعته قائلا:

_هل ظهر لك سوميا أيضا

_ لقد كان "سوميا" ومعه شيطان آخر يدعى "أركاد"، هما من أقوى العفاريت مقربين من إبليس اللعين، كانا تحت أمر ابنته، لا أتذكر اسمها بالضبط

قاطعته مرة اخرى

_ تقصد سيرانا.

_أجل...صحيح...ذلك اسمها...كنت حين أكلف بسحر العقم والاجهاض من قبل الإنس لأذية امرأة ما ومنعها من الانجاب، تقوم هي بذلك...تحب المكوث في الأرحام وقتل الجنين...اللعينة حسودة...

_كيف دخلت إلى هذا العالم؟

_حماقة الشباب والمراهقة هي ما دفعتني إلى دخول هذا العالم القذر...كانت أول مرة عندما أحضر صديق لي كتاب السحر الأسود...كنا أربعة أصدقاء...اثنان ماتا وصمدت أنا وصديقي إلى النهاية

_هل قمتما بالخلوة؟

_لا يمكن لأي شخص أن يصبح ساحرا إلا بتلك الخلوة...

_وما هوالشيء الذي دفعك إلى التوبة ومغادرة هذا العالم...

صمت لبرهة وتنهّد بقوة وقال لي

_ لقد مات صديقي أمامي...قتله خادم سحر عندما اشتد تعذيبه من قبل راق...حزنت وغضبت لموته وحاولت الانتقام من ذلك الراقي لكني لم أفلح رأيت من خلال تلك التجربة عظمة القرآن وقوة تأثيره على الشياطين واهتديت أخيرا وتبت إلى الله.

_ لكني يا شيخ رغم توبتي ومحافظتي على الصلاة والأذكار إلاّ ان تلك الشياطين لا زلت أشعر بأنها ما زالت تسيطر عليّ وكأنني مكبل.

_ربما سحرتك، راجع نفسك فلعلك قمت بعمل يعود بالمضرة عليك

عدت إلى المنزل وأنا أراجع كلامه في داخلي وأسترجع ذكرياتي من البداية" لا يوجد أفظع من قتلي لزوجتي وعشيقها فتذكرت أنني دفنت معهما أشياء غريبة لازلت أجهل سببها.

تناولت المعول وبدأت الحفر في حديقة منزلي حيث دفنتهما وهناك وجدت معهما ما كان يكبلني فقمت بإحراقه فتحسنت أحوالي وعدت بأفضل حال لكنني قررت في النهاية انه يجب أن ادفع ثمن فعلي فاخترت أن أسلم نفسي لتتم محاكمتي وأنال عقابي والذي بسببه خسرت أغلى ما أملك "ندى ابنتي"

رائد

دمعت عيناي العرّاف وقد تذكر فقدان ابنته فاقترب منه رائد وربّت على كتفه وقال:

_بصراحة أنا آسف يا سيد أيهم لأني أعدّتك إلى الماضي الذي كنت تحاول نسيانه...حقا أنا آسف.

تنهد العرّاف ومسح الدموع عن عينيه وقال له

_ لا...بالعكس، أنا أشكرك لأنك سمحت لي بالحديث، وأعطيتني فرصة لكشف بعض الحقائق للناس، وأقول في النهاية أن السحر كفر وأن كل من يحاول أتباع هذا الطريق أو الاستعانة بالسحرة فقد ضلّ ضلالا كبيرا.

دخل الحراس فجأة، يبدو أن أنّ الزيارة انتهت، اندفعا نحو السجين لأخذه الذي اقترب من رائد قبل أن يغادر وقدم له خاتما وهو يقول

_هذا خاتم السّحر، خاتم استدعاء سوميا، خذه قد ينفعك في تقريرك عن هذا العالم الخفي...

ابتسم إليه رائد وقال:

_شكرا...سأحاول أن أوصل رسالتك.

حمله الحراس ليعودوا به إلى الزنزانة وعندما وصل إلى باب الغرفة التفت إليه مازحا

_إياك ان تلبس الخاتم فربما تصبح من أتباع سوميا...

ضحك رائد وأجابه قائلا:

_حسنا، لكن ماهي شروطكم.

تعالت ضحكات العرّاف حتى غادر مع الحراس إلى زنزانته أمّا رائد فقد عاد إلى المنزل واختلى بنفسه في غرفته، يعيد ويستمع إلى التسجيل إلى أن نادته أمه تدعوه إلى العشاء وعندما همّ بالخروج تذكر الخاتم، أخرجه من جيبه ولبسه في اصبعه ليريه لأمه وما أنْ وصل إلى الباب حتى سمع صوتا خلفه يقول "مرحبا بك في عالمنا يا رائد"

تمت بحمد الله

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع